أيّام الرعب

أحمد عبد الله

الفصل الأوّل

صرخ الرجل وهو يسمع بأنّ أحمد حسن البكر هو قائد الانقلاب الجديد:

[illegible]؛ لم يجد من يحقق له مصالحه خيراً من هؤلاء البعثيين.

ها هو يأتم بعملائه الّذين جرّبهم [illegible] جاهزون دائماً [illegible] الاستعمار صعوبة فى التعامل معهم [illegible] هو من أوجدهم وقوّاهم ورعاهم [illegible] أعرفهم جيداً منذ لهيئهم أول مرة عام ١٩٦٣ [illegible] أظن التأريخ شهد مثيلاً لما. سالت الدماء فى الشوارع ودير البيوت. كان يوماً لا يستطيع إنسان وصفه، لأنه فوق الوصف؛ لأن الإنسان لم يجرب مثله. لم يبق مكان فى المعتقلات فقتلوا المعتقلين. كان الاستعمار يرى ويضحك ويشجّع. [illegible] يكون لهما مثلهم رغم البيهيب والبيغيب. [illegible]. لا أحد يسأل عنّى لأنه يخشى أن يلقى ما لقيت، [illegible] فى اليوم. كانوا يربطوننى عارياً [illegible] إدس. لقد ابتكروا أساليب جديدة فى التعذيب حير لم تعد بعدي القديمة منها. أساليب لم يسبقهم إليها أحد: قلع الأظافر وقطع الأصابع أصبح من لهونما يعذّبون به. لقد كنت شاهداً على بعضها فى التعذيب. [illegible] قتلوا عدداً من المعتقلين للّذين [illegible] لقد كنت محظوظاً إذ اكتفوا منى بإحدى عينىّ [illegible]:

[illegible].

كان السيد (ع.ح) فى الخمسين من عمره. لقد عاش مأساة أو جريمة ١٩٦٣ عندما [illegible] وكان هو وأخوه من بين ضحاياها. [illegible] للناس خرجوا بعدما جمعوا أن حزب البعث هو الّذي قام بالانقلاب وأنه عيّر أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية ورئيساً (هو إنما [illegible]).

ولم يكن يقطع كلامه إلا صوت الخذيع وهو يعلن قراراً جديداً اتخذته القيادة التى كانت [illegible].

[illegible]: ألا ترى أنك مبالغ فيما تقول؟! ألا يمكن أن يكونوا قد استفادوا [illegible]! ألا يفضل أن تنتظر بعض الوقت قبل أن نصدر حكماً عليهم استناداً إلى الماضي؟!

قال ثالث وقد بدا عليه الغضب مخاطباً جمع: كيف يمكن أن يتغنوا؟! هل نجن من السذاجة بالدرجة التى يتصورها السيد... والتفت إلى المتكلم الثانى متسائلا.

هل أنت جاد فيما تقول؟! كيف تغنوا؟! [illegible] غنيهم؟ [illegible] وليس من عدو للشعب غنيهم؟ هل أقروا بجرائمهم السابقة واعتذروا عنها؟! [illegible] ١٩٦٣ وحتى اليوم؟! من قائدهم؟ أليس هو أحمد حسن البكر رئيس وزراء الانقلاب الأول المشؤوم الّذي ما تزال دمائنا تنزف منه؟! من الّذي قتل الأبرياء وملأ المعتقلات وسبن العوائل وأثكل النساء ويتّم الأطفال؟ أليس هو وعصابته؟! أليسوا هم من فعل هذا؟! أهو أنت؟! أهو أنا؟! إنك تتكلم كأنك لا تعرفهم أو مع من لا يعرفهم! أخ يقتلوا أخاك الصغي الطالب فى كلية الطب لأنه رفض أن يطيعهم ويضرب كما أرادوا حين دعوا إلى الاضراب الّذي كان مقدمة لاستيلائهم [illegible] وأوثقت أيديهم؟! هل نسيت كل هذا؟! إن كنت [illegible]. [illegible] هؤلاء ذئاب. أرأيت أحداً يأمن الذئب أو يصدقه؟!

[illegible] قال: والله لقد أضحكتني كثيرا وصفتهم بالذئاب. أخشى أن يقال عنا إننا نستطيع للذئاب أن تفعل بعض ما فعلوا؟! [illegible] وقد قتل هؤلاء أكثر من هذا العدد؟! وليتهم لم يعذبوهم قبل أن يقتلوهم! لقد عذبوهم حتى [illegible].

قال السيد ح.ج: إن الاستعمار لا يريد أن يكتفي [illegible] ولو انتهى هنا لانتهى من الآخرين ولسيحاول إنه لا يفكر إلا فينا. [illegible] هذا هو المخطط: [illegible] إن هؤلاء البعثيين من يعتمد عليهم الاستعمار في هذه المهمة. اجمعوا واحفظوا ذلك عني. [illegible] تذكر ما قلت جيدا سأحاسبك يوماً عليه.

[illegible]: وماذا سنفعل؟ هل [illegible] لماذا يجدي حديثنا إن لم يصحبه عمل؟! هل أسهل من الوقوف في زاوية من الطريق والحديث [illegible] هل نريد أن نؤرخ لهم؟! إننا نجن [illegible] الخطر الذي يتهددنا ويتهدد [illegible] هذا هو الموقف الواجب الآن. [illegible].

قال السيد ع.ج: والله لو لم تقلها لكنت قد سبقتك إليها. كنت أريد أن أقول ماذا سنفعل لحمايتنا وحماية للوطن من أعدائه؟ أنت يا... هل فعل أخوك ما يستحق عليه القتل؟! هل كان مجرماً؟! [illegible] ولأنت الآخر... ماذا فعل أبوك؟ [illegible] هذا كل ذنبه. هل فعل غير هذا؟! هل هناك من سبب آخر لقتله غير هذا؟ [illegible] الوطن كله.

تي ودعهم مسرعاً وهو ينادي Ä ÜÆÄ Ä×ÜÆÄ ÜÆÄ Ä×ÜÆÄ ÜÆÄ Ä×ÜÆÄ Ä áÜ ÆÄ ÜÆÄ Ä×ÜÆÄ ً
العمل مصصئأشش ص ف ~ مصـ يم ÆÄ ط صـ.

الفصل الثاني

كان الحكم في العراق خلال الفترة التي سبقت انقلاب ١٩٦٨ [illegible] يكن بالرجل القادر على مواجهة الظروف العديدة التي أعقبت هزيمة العرب في حرب ١٩٦٧ وحرب الأيام الستة كما تسمى: هزمت فيها كل الدول العربية - مصر - وهزم [illegible] السياسي العربي. [illegible] متعددة. [illegible] ويتخذ مواقفه تبعاً لمواقفه. [illegible] التي تلقاها بعد انقلاب ١٩٦٣ [illegible] يملك شاهي واسعة ونفوذ لا يستهان به في الأوساط الشعبية وبين الطلاب والمثقفين.

وهناك حزب البعث الذي اصطنعه الغرب لاستخدامه عند الحاجة.

[illegible] صعيد الواقع العملي.

[illegible] ١٩٥٨.

[illegible] زبني في رسم الخارطة السياسية العراقية.

[illegible] بثورة العشرين التي جاءت بحكم أقل أوصافه أنه أنهاهم ولم ينصفهم.

وهناك المشكلة القديمة المتجددة: [illegible].

[illegible] قد تتعدى طرد التذمر والشكوى وعدم الرضا.

كان للعراق إذن ساحة مفتوحة على كل الاحتمالات [illegible] يستطيع الغرب أن يهيئه للاحتمالات. [illegible] الأمور.

ويبدأ الغرب يخطط بسرعة: الخارطة السياسية أمامه واضحة. حزب البعث [illegible] شرطه الوحيد هو الحكم.

وهيأ الغرب كل ما يجب لتسليمه السلطة [illegible].

وفي صباح ١٧ تموز ١٩٦٨ وبعد ثلاثة أيّام من الاحتفال بثورة ١٤ تموز [illegible] الانقلاب دون أن يعلن عن هويته التي تأخرت إلى اليوم التالي خوفاً من انتفاض الناس قبل [illegible] ١٨ تموز ١٩٦٨ أعلنت الإذاعة عن تعيين (الرفيق) [illegible] (الثورة) لتعرف هوية الانقلاب والانقلابيين.

[illegible]: ما الّذي حصل؟! [illegible] جرائمهم في ١٩٦٣ [illegible].

[illegible]. ليس غني الغرب. ماذا علينا أن نفعل؟ هل نحن في حاجة إلى تجربة أو هزيمة جديدة أخرى؟ هل نستسلم لما دون أن نقاوم ونرد ونستشهد في ساحة معركة قبل أن نقتل ولا نقاوم ولا نرد؟ ما هو موقف الأحزاب والحركات السياسية في العراق؟ [illegible] وأنصارها؟ وتتابعت الأمثلة بلا جواب ظلت أسئلة فقط.

[illegible] وليست حزباً واحداً له رؤية واحدة وسياسة واحدة.

[illegible] لم يكن واحداً. [illegible] كلها مازال قريبة مرعبة مازال السواد يلف الأمهات والبنات والأخوات [illegible] كان يطلب حينذاك هو البيت والانتظار حتى تتضح نواياهم وأهدافهم بما يمكن من اتخاذ موقف منهم.

وكان بعضهم يميلون إلى التعاون مع البعثيين وإسدال الستار على الماضي وفتح صفحة [illegible] الكثيرون منهم.

[illegible] أعلنت اسمبهة بعد ذلك في ١٩٧٣/٧/٣٠، [illegible]...

[illegible]!

[illegible] «[illegible] نفذوا إلى داخل الحزب وكشفوا أسراره وعرفوا ما كانوا يريدون معرفته من خطط ونشاط وعلاقات وكوادر. وأبعدوه عن شاهين الملتقى لم تتفق يوماً بالبعثيين وكانت ترفض دائماً أي تقارب معهم. وعلى الصعيد الخارجي استطاع البعثيون أن [illegible] الاشتراكية [illegible].

[illegible] عنه بعدما تخلى هو عن اسمه ماهي وحالف أعداءها. كان مدافعاً عنها فأصبح شريكاً لهم [illegible] عابي بالحزب الشيوعي [illegible].

[illegible] انتهى بلتفاق ١١ آذار ١٩٧٠ [illegible] لكنه - وقد أرضى الأكراد وحيّدهم وأبعدهم عن احتمال التحالف أو العمل المشترك مع الحزب الشيوعي أو غيره من القوى الوطنية العراقية - أطلق يد البعثيين في المناطق الأخرى [illegible] وأظنهم لم يهتموا يوماً به.

[illegible] فالديمقراطيون العراقيون [illegible] وهو ما يخيف البعثيين.

[illegible] صراع مع البعثيين.

[illegible] تفيد شيئاً مهماً فيه.

بدا وكأن النظام قد اطمأن إلى سيطرته وأمن جانب خصومه. [illegible] ولا شيء مما يخافه ويخشاه.

[illegible] ١٩٦٣: قتل وتعذيب وتوللت الأنباء [illegible] لم: لذاسه [illegible] يتبدل. جاء لينفي كل ما قيل عن اختلاف فى الجزب وسياسته وسلوكه بير عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٨ ليس هناك من بعث قدني وبعث جديد كما زعموا. إنه ما زال ذلك البعث أو [illegible] فى الأماكن التى لتحذها الانقلابيون البعثيون مقاراً لم هجموا بالرشلشات والسكاكير على [illegible] واعتقلوا آخرين.

[illegible] رشيد [illegible] يوماً إليها.

[illegible] مدير للمدارس اسمعفية - الشيعية - [illegible] كر. هناك ضحايا آخرون ينتظرون وعليهم أن يسرعوا. ووصل الخسؤول الجزبى ليدور هذا الجوار بينه وبير أعضاء هيئة التحقيق.

قال الخسؤول: لماذا قتلتم محمد رشيد واسعنابى وسلمان التميمي قبل أن تجققوا معهما وتكشفوا عن نشاطهما وتعرفوا لمن كلنا يتصلان وماذا كلنا يخططان. لقد تسرعتم فى [illegible] نشاطهما [illegible] من الخعلومات ما يهم الجزب معرفته. كان الجزب [illegible] تيع وسائل التعذيب هيأها لكم الجزب.

قال أحد أعضاء الميئة: أيها الرفيق إنك تتكلّم وكأنك لا تعرفهما. واللهِ لو عذبنا نملة من الليل إلى الصبح [illegible] لقد كان خطأ - واعتذر أيها الرفيق - أنّا تركناها حيّة. في عام ١٩٦٣. في أضاف [illegible] وسام الوفاء يا رفيقي [illegible] فلم أجد ملجأ أحتمي به غير بيته.

بقيت في البيت لم أخرج منه حتى آمنت. كان يرعاني بنفسه. لكن الحزب فوق كل شيء. هكذا علّمنا. [illegible].

قال آخر من نفس الميئة: وأنا؟! كان أبي قد مات وتركني وأمي وعدداً من الأولاد أكبرهم أنا. ولم يكن عندنا من المال ما يقوم بمعيشتنا. [illegible] التميمي هو من يساعدنا. لكم ذهبت إليه فلم يردني. في لم يكتفِ فتوسط لي عند بعض معارفه وعيّنني في وظيفة براتب شهري عشت وعاشت عائلتي به - [illegible] فأطلقت عليه النار حال دخوله. أظنني أجدر من أي واحد غيري بجائزة الوفاء للحزب.

عاش الحزب راعياً أميناً للرسالة الخالدة.

[illegible] أخطأ الّذين جاؤوا به.

إنني صاحب محل في (الشورجة) [illegible] عن المحل أو أنني أ[illegible] به لمن تشاؤون. أرجوكم لا تفجعوا أطفالي [illegible] أطفالكم. لم أفعل والله شيئاً أستحق عليه القتل ولا ما هو دونه.

قال واحد من هيئة (التحقيق): [illegible] الحزب ألست من الشورجة؟! ألا يعني هذا أنك من هؤلاء للقوميين الحاقدين على الحزب والثورة؟!

وصاح أحدهم: عاش الحزب والقائد

وردد الآخرون: [illegible].

وانطلق الرصاص مع المتاف ليمزق جسد عبد الله الناصر.

الفصل الثالث

السيدة آمنة وزوّار الفجر

كانت الساعة قد جاوزت الثالثة فجراً من أحد أيام نيسان ١٩٦٩، [illegible] هو. لن أغضبه ولن ألومه [illegible] تتزاحم عليها فى استعراض سريع لكل الاحتمالات.

كلنت قد سألت عنه أصحابه وزملائه فى [illegible] شيء.

كان السيد علي قد انضم إ لم لهموعة من أصحابه الشباب الّذين انتظموا فى خلايا سرية [illegible] كل مكان من العراق.

قال وهو يوجّه كلامه فى أول اجتماع لأفراد خليّة للّذين تسلّلوا إ لم بيت لا يلفت النظر ولا يثي الريبة: لخ يعد هناك لهال للانتظار. إننا نتحمّل مسؤولية شعب تنتهك كل حقوقه. [illegible] لستباحوا كل شيء. إنه يتعرّض لليوم لمجمة وحشية جديدة لخ [illegible] ينسى من منّا لخ ينله إجرامهم؟ [illegible] إنّ [illegible] نكون من الضحايا. نحن أنفسنا أو عوائلنا أو أهلنا. [illegible] بيت فى للعراق إلا فجع ولا عائلة ولا بن ولا أم ولا زوجة. [illegible]

[illegible]، علينا أن نجسم خيلنا الآن. [illegible] الشعب ضعفاً وانكساراً. عار علينا أن ننتظر حتى يسبقنا غيرنا. عار علينا أن ننتظر الشيوخ [illegible] إلينا. إننا في لحظة تاريخية [illegible]. إنه للوطن أيها الأعزّاء. للوطن الّذي يجب أن يبقى [illegible]. الوفاء له هو بذل الدم دفاعاً عنه. هو في مواجهة أعدائه بشجاعة وعزم وشعور عال بالمسؤولية.

قال أحد الحاضرين: وماذا عن الأحزاب؟! هل تخلّت عن المعركة وتركت الساحة للبعثيين؟ [illegible] الشيوعي ذي التجربة الطويلة في النضال والعمل السرّي. والأحزاب الأخرى؟!

[illegible] الخلاحظات التي يريدون طرحها [illegible] أكثر من الأسئلة عسى أن أجد في واحد منها عذراً للقعود والاستسلام. سأنطلق منه. هذا هو موقفي دائماً [illegible] المعركة [illegible]. ستستجيب لنداء الشعب. ليس أمامها من موقف [illegible] وصفاً لا أحب ذكره الآن [illegible].

قال ثالث من الحضور [illegible] من يحمل السلاح ضدّهم. هناك ستعيد الأحزاب النظر في مواقفها [illegible]. لأننا لا أعوّل كثيراً على الأحزاب. كل منها له حساباته وبخوجها يتحرّك [illegible] السلطة.

قال عبد الله: لقاءنا فلست متأكداً مما تقولون أريد أن أقصد الناظر الأشرف، وسأعطي رأيي في وقت آخر. ولم يكن عبد الله أقل كرهاً للبعثيين من أصحابه الآخرين ولا أقل استخفافاً بالناصريين. لقد قتلوا في انقلاب ١٩٦٣ الآلاف كانت تلك، لكنه كان لا يريد أن يبدو وكأنه لا رأي له ويتبع الآخرين في آرائهم. هو من هذا الصنف الذي يتخذ [illegible] لا تأتي لما على الرأي المطروح [illegible] قال السيد علي: لك ما تريد. [illegible] العمل وأسلوبه وتوزيع المهام.

[illegible] قال: إنني معكم. لست جبناً ولا خائفاً ولا دونكم في الشعور بمسؤولية الدفاع عن الوطن وعن شرف الإنسان وكرامته. سأكون في الصف الأول بين المقاتلين. اتركوا لي المهمة الأصعب [illegible]. سيرون. سأسركم والله.

[illegible] أيها الأخوة الأعزاء: لا أريد أن أخدعكم أو أضلّكم [illegible] أنني [illegible] الألوان التعذيب التي عرفناها في انقلاب ١٩٦٣ وفي هذا الانقلاب. فمن وجد في نفسه القدرة على تحمّل [illegible].

وارتفعت أصوات مؤمنة وواثقة: ما أحلى الشهادة دون الحياة ودون الوطن. لن نبيك الساحة لعصابات الفاشست العملاء. لن نسمح لهم بأن يغتالوا حياتنا ويدمّروا وطننا.

[illegible] منهم وشدّ على يده وهو يمسح [illegible] وبعد إبداء بعض الملاحظات [illegible].

وكانت هذه الخلية واحدة من خلايا أخرى نشطت في العراق بعد انقلاب ١٩٦٨، وانتظمت عدداً من الشبّان العراقيين الّذين كانوا يتقدون حماساً وعزماً وإخلاصاً في تنفيذ [illegible] على أيدي هؤلاء الحلاّدين.

لكن هذه الخلايا كانت تعمل منفردة دون أن يكون هناك هيئة أو سلطة مركزية تنسّق نشاطها وتجدّد معها خطط العمل وأولوياته على مستوى العراق وتمدّها بالمعلومات التي [illegible] على حكم البعث.

[illegible] نشاط ويفتّشون كل بيت يشكّون فيه [illegible] واحد وآخر.

وكان السيد علي واحداً ممّن تراقبهم أجهزة البعث. وحين خرج ذلك اليوم من دائرته بعد [illegible] مظلّل تقف قريباً منهما. تقدّم الاثنان وطلبا منه الذهاب معهما.

- [illegible] إلاّ أن [illegible] بسيطان يأخذ أكثر من دقائق وتحرج [illegible] السيارة التي نزل منها اثنان آخران وقد مدّ كل منهما يده إلى مسدّسه النازل من تحت [illegible].

وانطلقت به السيارة لا يعلم إلى أين. لقد عصبوا عينيه قبل أن [illegible] ذاك.

وفجأة توقّفت السيارة ودفع منها ليجد نفسه في مقر الأمن العام.

هناك كان امتحان عسني ينتظره. حاولوا أن يعرفوا منه أخفاء الآخرين في الحلية وماذا يخطّطون ونحن يتصلون [illegible] - لخ [illegible] الأملنة وحفظ أسرار الحلية مهما لشتدّت الظروف والضغوط. [illegible] يدفعهم أوغاد مشوّهون إ لم الخوت [illegible]! هل يكون هو [illegible]! لقد [illegible] وإياهم ولجب نبيل: للدفاع عن للوطن [illegible] للوطن والشرف والأهل؟! ألخ يتوقّع هذا الخوقف يوماً؟ [illegible] الخوت؟ [illegible] ولاسيذكرهم إلاسباحيام؟ [illegible] والتاريخ؟! ما قيمة أن يعيش الإنسان تافهاً صغنياً لو كتب له أن يعيش؟!

[illegible] سخرية كو [illegible]ياء: لا. لن أعيي [illegible] لن لخون. افعلوا ما شئتم هاأنا أمامكم. اقتلوني عذّبوني كما تشاؤون، لن تظفروا مني بكلمة واحدة أيها العملاء التافهون.

[illegible] عليه اللكلمات بقبضات الجديد على كل مكان من جسمه. وسال للدم ليصبغ أرض الغرفة ويصبغ أرض الوطن كلّه.

ولخ تكن زوجته تعلم شيئاً عما جرى لزوجها. لخ تكن تعلم أن زوجها قد قتله السفاحون [illegible].

[illegible] لخاذا يطرق للباب والخفتاح معه؟! [illegible] أدري لخاذا؟!

[illegible]

وجهها: [illegible] لصكم

من عار هذا الحائن [illegible]

أو صدرت منك كلمة ضد الجزب أو الثورة. اعلمي جيداً أن مصني أي منكم لن يختلف عن مصني.

[illegible]

صبغت عتبته: هذا هو الحائن.

ولم يكن الكيس يضم جسد خائن ولا عميل. [illegible]

رفض أن يكون خائناً أو عميلاً [illegible]

الفصل الرابع

مأساة المعلّم محمد

[illegible] شيئاً عنها. ولا يحب الحديث فيها. [illegible] السياسة أو قريب منها. [illegible] تدريس مادة الحساب فى مدرسة ليست بعيدة عن بيته الواقع فى حيٍّ شعبى بسيط من أحياء الكرّادة فى بغداد.

[illegible] شمّ. هناك يلتقي ببعض أصدقائه للقدام أو بعض جيرانه. يلعب معهم (الطاولى) [illegible] بينهم دائماً كوب شاي يدفعه الخاسر من الطرفين. فهو لا يبيك الخقهة بأقل من ثلاثة أو أربعة أكواب من الشاي.

[illegible] أشطاخ [illegible] إضحوض كنما.

[illegible] يعرف ماذا سيحصل بعدها. لا أحد يعرف هل سيعود إلى البيت؟!

قال السيد محمد هازلاً: إذن عليهم أن يراقبوا الحيّ كلّه قبل أن يصلوا إلى بيتي ويراقبونه. أظنهم أذكى من أن يضيعوا وقتهم فى مراقبة هذا الّذي لا يعرف غير مقهاه ولا يخرج إلا [illegible] زوجته. قال صاحب الخقهى الحاج [illegible] - أعوذ بالله - شي عن هؤلاء ولخ أخ ك بعد أن شاهدت. وحيّ الخعلّم السيد محمد وهو يدني النظر وراءه.

[illegible] كنت رطظ، غظظ يحضر [illegible] أشطش.

ومر يوم تبعه آخر ولم يأت كعادته.

وافتقد الحاج صاحبه (المعلّم) لكنه علّل غيابه بأنه قد يكون لشغل من هذه الأشغال التى لا تنتهي وتكاد تستنفد وقت الإنسان وطاقته فى ظل حكم يخلق هو الأزمات والمشاكل والصعوبات. ألست مثل المعلّم؟! ألسنا كلّنا مثله؟! [illegible] المعلّم.

ومر يومان وأيام قبل أن ينادي الحاج أحد أصحاب المعلّم من لاعبى (الطاولى) معه فى المقهى.

قال الحاج: هل رأيت المعلّم؟ إنه لم يأت المقهى منذ خرج قبل مدّة غني قصيرة، [illegible] إ من عادته أن يغيب مثل هذه المدّة.

قال الآخر: [illegible] يحشر [illegible] خطاب [illegible]. هل تعلم كم كنت أخسر كل يوم فى لعب الطاولى معه. لقد كان للرابح دائماً.

قال الحاج: إذن انتظرنى حتى أهيّئ نفسي وأكلّف من يجلس مكانى.

سأعود قريباً لنذهب إليه معاً.

[illegible]

[illegible] شم: تفضّلا فأبو قاسم فى الصالون وسيسرّه أن يراكما. لقد عاد من سفر شاق لم نصدق حين رأينا يدخل البيت سالماً.

قال الحاج لصاحبه وهو يدخل: أظن أم قاسم تتحدّث عن سفر آخر. ودخلا.

كان الشحوب والإرهاق ظاهرين على المعلّم وهو يتمدّد على فراش وضعت فى طرفه محدّتان واحدة فوق الأخرى. أراد أن ينهض لتحيّة زائريه فمنعاه. سلّما وجلسا جنبه. سألاه عن أسباب غيابه وقلقهما عليه.

قال وهو يتكلّف الإبتسام: لقد كان ظنّك صادقاً يا حاج. [illegible] كان يقيناً.

قال الحاج مستغرباً: ماذا؟! هل فعلوها معك؟! ما لم ولك؟! ألم يجدوا غيرك؟! ألم يرعوا سنّك وسابق خدمتك؟! [illegible]

[illegible] إلى جنبه يسرع في طلبات أبيه: [illegible] بعد شغل [illegible] الباب [illegible] وجه غريب لم أعرفه من قبل: [illegible] الحائط [illegible]. قال لي: أنت المعلّم محمد؟ وحير أجبت (نعم) قال تفضّل معنا.

قلت: إلى أين؟

قال: لا تخف. [illegible]. لكن هذا (البسيط) لا ينتهي إلا بالموت غالباً أو بما يتمنّى الشخص معه الموت [illegible] غني إهانة وتعذيب وتحويف.

قلت: أمهلوني إذن حتى أغيّر ملابسي.

قال: ولم ذلك؟ قلت لك [illegible] الملابس؟ لنا أتعهّد لك بذلك. أتشك فيّ؟!

وصحت لأم قلسم [illegible] كان هناك في السيارة اثنان آخران. كانت الشوارع نصف مظلمة فلم أتبيّن الطريق. [illegible] بناية. كان اسمو الّذي أحاط بي وما يبعثه في النفس من خوف يمنعني من معرفة المكان الّذي [illegible] قال أحد الّذين اقتادوني: [illegible].

كان الرجل الجالس وراء المكتب أخضر اللون مفقود الحاجبين قد نزل شاربه حتى غطّى شفته العليا من كلا طرفيها. وعلى المكتب أمامه مسدّس كبير. وعلى الجدار إلى جانبه لوحة [illegible].

قام الرجل ودنا منّي [illegible] الصوت باسمي: المعلّم محمد عباس. وقبل أن يكمل الاسم، [illegible] الإرث [illegible] بدعة، [illegible] يقظ [illegible].

[illegible].

أكنت [illegible]: هل تعرف بأنك مجرم؟!

ألا تستحي مع هذه السن أن تكون مجرماً؟! ألا تعلم بأنك تكون للحزب وللثورة؟! كيف سمحت لنفسك بذلك؟! لم سكت ولا ترد؟! لأنك لا تملك الرد. هل تستطيع أن تنفي ذلك؟!

قلت وأنا أمسح الدم من وجهي: والله إني لا أدري عن أي شيء تتكلّم. لا أدري لماذا جئتم بي إلى هنا لماذا. أقسم أني لا أدري. قال وهو يصوّب إليّ نظرة مرعبة - أعاذكما الله منها -: وتتجاهل أيضاً؟!

سأعلمك كيف تجيب الأسئلة. ضع [illegible] بإرادتك وتعرف بعد أن يأخذك الإخوان في نزهة تسرّك.

[illegible] بخطوة [illegible] أرضه.

قال وابتسامة صفراء قد ارتسمت في وجهه: خذاه (النزهة)، [illegible]. أوصيكما به. تعاملا جيداً معه.

وقادانى إلى دهليز طويل يفضي إلى زنزانة لا منفذ فيها ولا شباك [illegible] بإحكام تي دفعاني. كدت أقع على الأرض لولا أن يتلقاني بعض نزلائها.

لم تكن الزنزانة تتجاوز الخمسة أمتار في أربعة لكنهم حشدوا فيها حوالى العشرين [illegible]. وهم يجلسون على أرض رطبة لا شيء يقيهم رطوبتها ولا بردها. [illegible] أن يجعل منها فراشاً وحشاً، [illegible].

[illegible] الجائط. كانت المواجس تتقاذفني: ماذا سألقى من هؤلاء المتوحّشين يوم غد. ماذا دبّروا لى. ماذا يريدون منى. لم جاؤوا بى إلى هنا. سأعرف ولنا لا أعرف شيئاً عن أي اعترافات يتكلّمون. [illegible] خطاب [illegible]. [illegible] هل أبلغت الأولاد. هل علم [illegible] الأذى لصاحبه.

[illegible] ماذا أقول لهم ولم أعرفهم إلا منذ قليل. يكفينى ما أنا فيه. فما الّذي يضمن لى ألا يكون بينهم واحد من عملاء البعثيين دسّوه ليتعرّف أخبارهم ويكشف أسرارهم ونواياهم فى المستقبل إذا خرجوا من هذه الزنزانة أحياء.

[illegible] أذنى حتى لا أسمعه.

[illegible] أسلوب آخر يريدون به [illegible] التعاون.

[illegible] (لا يت) [illegible]. استعرض بخصاصه وجوه [illegible]. قال [illegible] باستهزاء:

قلت - إلى أين؟

قال: إلى النزهة [illegible]. ألا تحب النزهة؟! هل فى الناس من لا يحب [illegible]!! وجرّنى خارجاً قبل أن يغلق الباب.

كانت القاعة التي قادني إليها مرعبة: [illegible] مراوح وأجهزة كهرباء وكلابات لقلع الأسنان [illegible] خالية [illegible] ظاهر [illegible] أسرج [illegible] الآخر.

كل فلم يصور مشهد تعذيب يختلف عن الآخر

-هذا هو ضيفنا لذا لليوم. لقد أوصانا به الخدير خيراً. قال ذلك لصاحبه الّذي كان [illegible] الحطاب لي [illegible] ونظر إ لم الخروحة النازلة من السقف [illegible] الأصعب. ألخ تبدأ مع طلابك بالأسهل..... وأنت تعلّمهم؟! يبدو أن الخعلّم سريع النسيان!

قلت: لخاذا؟! وا إني لخ أفعل شيئاً. وا لخ أمارس السياسة يوماً في حياتي ولخ أقترب منها. كنت أهرب من أصدقائي إذا جمعتهم يتحدّثون فيها.

[illegible] لا [illegible] شيئاً. أشرح شيخ [illegible] بها أطلب شيء.

قال: شرّح بمثل [illegible]! هل نأتي لك بخيزجم؟!

[illegible] قلت: [illegible] رأسي [illegible].

وتضرّعت إليهم وأنا أبكي.

قال الأول الّذي جاء بي من الزنزانة: [illegible] تر.

[illegible] أعد أرى ولا أحس ولا أعي شيئاً.

وبعد فترة أوقفا الخروحة وأنزلاني.

ـقال ولنا لا نستطيع أن نقف على الأرض من الدوار والإرهاق ومن المنظر الّذي كنت فيه نسيطر [illegible] شيء لدينا لو كنت مع غيرنا لربّما لم تكن تتصوّر أن تراه.

قلت: جزاكم الله خيراً!

قالا بصوت واحد: والله ما قلتها عن نيّة صادقة.

[illegible].

كان عدد من النزلاء غائبين لم أسأل عنهم. [illegible] التعذيب ظاهرة عليهم [illegible] منها.

ماذا فعل هؤلاء الشباب ليصنع فيهم كل هذا؟ [illegible].

لم يتحملون كل هذا العذاب الّذي لم أطق ساعة منه؟ لماذا الّذي يدفعهم إلى مواجهة الأخطار والتضحية براحتهم وأمنهم وأمن عوائلهم... [illegible]. إنّ [illegible]. كيف تركوا كل هؤلاء وارتضوا حياة الاعتقال والتعذيب وما بعدها.

[illegible] منهم في نفوسهم... [illegible] الشباب.

[illegible] الزنزانة.

[illegible]: مسؤول التعذيب ليقودني إلى نفس القاعة. لا أدري [illegible] الجديد من وسائل التعذيب.

قال لصاحبه ونحن ندخل: المعلم محمد. ماذا سنضيّفه اليوم؟

قال الثانى مصطفى بقصد إشعارى أنه إنما كان [illegible] يحتضن [illegible] .

[illegible] . أجلسانى على كرسي تي شدّا جسمي كلّه: ظهري ويدي ورجلي حتى لا أستطيع أن أتحرّك أو أميل. وبعد أن أحكما شدّي واطمئنا إلى دقّة عملهما! أمسك أحدهما بخكوى كهربائي يتصل ببزر فى [illegible] ظهري العاري. صرخت توجّعت. لكنهما كانا يضحكان أكثر كلما تألّمت وصرخت أكثر. لم أعد أطيق. طلبت منهم أن يرحمونى ويخفّفوا عذابى بأن يقتلونى مرةً واحدة: أسهل عليهم وعليّ.

- قال أحدهما وقد أوقفا عمل الخكوى [illegible] ننتزع الإعتراف منه. لا أريد أن يموت فى أيدينا كما مات ذاك اللعين... قبل يومين.

مات تحت التعذيب دون أن يعترف. كم كان قوياً عليه اللعنة!!

[illegible] المقاومة أكثر.

وتكرّرت زيارات المعلّم للقاعة. [illegible] اللكم أو [illegible] .

- قال الحاج وهو يرى آثار التعذيب [illegible] تفعل ما فعلوا [illegible] !

[illegible] إحدى أقرب [illegible] قال [illegible] .

-أنا هو: قال المعلّم ذلك تي ردّد كمن يتكلّم مع نفسه؟ تعذيب جديد! وا لم يبق مكان له. ألم تكفكم خمسة عشر يوماً فى تعذيب متقاعد قارب السبعين؟!

قال رجل الأمن: البس ملابسك وتعال معي فالمدير يريد أن يراك.

[illegible] الإ بماه إ لم القاعة اللعينة كما هي العادة منذ دخل مديرية الأمن.

وبعد لحظات كان الخعلم يدخل غرفة الخدير.

قال الخدير: تفضّل اجلس.

لخ يصدّق الخعلّم أنّ الكلام موجّه [illegible] جلس. [illegible]

قال الخدير: لقد علمنا اليوم بأنّك لخ تكن الخطاط [illegible] الخهم أنك لخ [illegible] عنا إلاّ ما رأيت من معاملة طيبة.

قال الخعلم: أفضل معاملة وا[illegible].

قال الخدير ساخراً من كلامه ومن جواب الخعلّم: سيوصلك أحد الأخوان إ لم البيت.

قال الخعلّم: لا حاجة لذلك. أعرف الطريق. سآخذ أي تكسي لا أريد أن أكلّفكم - شكراً لكم.

[illegible]

وسأل الحاج صاحب الخقهى عن الخعلّم: لقد مضت مدّة غي قصيرة على زيارتنا له بعد [illegible]

كان الخعلّم قد شغله عن الخقهى أمر آخر هذه الخرة... لقد التحق بقوى الخقاومة.

الفصل الخامس

أبو طبر - الشبح الّذي أرعب بغداد

هوجم فى الليل بيت فى زيّونة وقتل جميع أهله.

وجدت عائلة مذبوحة ظهر اليوم فى الصالحية.

قتل عروسان فى شارع فلسطين بعد أيام من زواجهما.

[illegible].

كانت هذه الأخبار تنتشر بين سكّان بغداد بسرعة غريبة، [illegible]. [illegible]. لا يلتقي اثنان إلا سأل أحدهما الآخر عن العديد من الضحايا.

[illegible] يحمل معه أداة القتل: آلة كبيرة حادّة هي (الطاطة)، [illegible]. ينزل من السطح أو يدخل من النافذة أو يكسر الباب. قادر على كل شيء ولا يحول دونه شيء. [illegible]. لا يطلب مالاً ولا فدية. القتل هو ما يريد. يقتل الشيخ والمرأة والطفل! لا فرق عنده. عاشق للقتل وسفك الدم. [illegible]: [illegible]، [illegible] كان سيصبح حيّاً أو لا.

[illegible]. يصفونه: [illegible]، [illegible]، [illegible]،

[illegible]

الأمهات مذعورات لا يمكن أن [illegible] لائحة القتل.

كل جار يتفق مع جاره على إشارة يرسلها إليه إذا هاجم أبو [illegible]. تركوا المنوم فى الغرف. كلهم الآن ينامون فى السطوح: يكلّم [illegible] فيها.

[illegible] الّذي أصبح السلعة الأروج [illegible].

[illegible] وطفلتيه فى شارع ١٨ فى الداودي [illegible]: [illegible] الشارع ومن البيوت القريبة. وخرج الناس: [illegible] البعض يحيطون بالبيت ويدورون حوله [illegible] وشغل الناس [illegible] لم يعلموا فى غالبيتهم أنّ هذا الّذي [illegible].

لا أحد يفكّر الآن فى انعدام الخواد الغذائية. ولا أحد يفكر فى الفساد والرشوة. ولا أحد يفكر فى السجون والمعتقلات التى [illegible] أسرتيه [illegible].

هكذا بدأت اللعبة: [illegible]

يجمع طلاب المدارس الابتدائية فى ساحة المدرسة فى صفوف منتظمة صباح كل خميس قبل [illegible] - مصلحة بعثية فى الغالب - [illegible] إلى [illegible] وتأريخه ونضاله!

وفى أحد أيّام الخميس من شهر نيسان ١٩٧٣، [illegible] - وقد أصبح أكثر معلّمي المدارس الابتدائية بعثيين - من الفعّالية الصباحية لتجديد التلاميذ شعار [illegible]: لقد هوجم جيراننا ليلة البارحة وقتلوا شيعيهم. لا يعرف القاتل ولا أسباب القتل. [illegible] قتلت فى ليلة سابقة. [illegible]. تأكّدوا من إغلاق الأبواب قبل النوم.

[illegible] - كرّر هذا مرات عديدة قبل أن يعلن أن [illegible] تأكّدوا من إغلاق الأبواب قبل النوم. [illegible]!!!

[illegible]: أكلنت هذه اللعبة ضرورية؟! لقد دفع الشعب ثمنها باهضاً. دفع ثمنها وثمن غيرها مما سبقها ومما سيلحقها. [illegible] ومضى.

الفصل السادس

اجتماع طارئ لقيادة حزب البعث - مجزرة (خان النّص)

دعي أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث لاجتماع طارئ يعقد في بغداد لمناقشة أمر خطير لم يعلن عنه.

وبعد ثلاث ساعات كان الاجتماع قد عقد في جلسة استثنائية كما سميت. دخل أحمد [illegible] يحمل ملفاً ضخماً.

بدأ أحمد حسن البكر الكلام قائلاً: لقد وردت أنباء مؤكّدة: أنّ عدداً من المتآمرين من [illegible] بحجّة الزيارة. ومن هناك يعلنون العصيان.

[illegible] إنّ هذا تحرّك واضح على السلطة الشرعية وخطر كبير على الأمن [illegible] الآن أفهم لماذا كان الخليفة العباسي الأمير يحارب الزيارة ويقتل كل من جيء به وهو يريد زيارة الجسير.

[illegible] قرار حاسم يجعل من هذه الزيارة ذكرى من ذكريات [illegible] نريد عقوبة رادعة للعملاء من خونة الشعب والمتآمرين على مصالحه [illegible] متظاهراً بالخوف من خطر [illegible] دون وقوعه.

[illegible] جلس إلى جانب صدام.

[illegible] قال [illegible] كان يقتل زوّار الجسير.

قال البكر: ليتهم كانوا كلهم يقتلون الزوّار! ليتهم فعلوا [illegible] المناقضة لفكر الحزب والثورة.

[illegible]

[illegible]! لقد [illegible] نسمع قبل اليوم أنّ الزيارة والزوّار [illegible] منذ تسلّمنا السلطة قبل ست سنوات. [illegible] الشكل؟! كيف، كيف تجوّلت إلى خطر ومؤامرة وخيانة!! أرجو من الرفيق أن يوضح ذلك [illegible] ندافع عنه أمام كوادر حزبنا وأنصاره لو سئلنا.

وسارع صدام للرد، [illegible] لقد جرّه أصله - الشيعي - إلى ما نسمع. ها هو أحد الرفاق يتعامى عن الخطر ويدافع عن [illegible] على القيادة [illegible] ومن يقف وراءهم ويدعمهم. [illegible] إلى أن تقع. يبدو أنّ طائفية الرفيق أقوى من بعثيّته.

وسرعان ما سحب (الرفيق) [illegible] الاجتماع التي أعلن [illegible] وفوق الانتماء [illegible]. الحزب هو الدين الحديد الّذي علينا الإيمان به والدفاع عنه. لا دين معه ولا دين بعده.

[illegible] أسرع ما سحب الرفيق [illegible] ولم يكن في حاجة إلى الأقل من ذلك.

قال الثاني: إنّه الخوف يا صاحبي. فقال الأول، أو الثاني: آ
عليه. لمجرّد ملاحظة أو استفسار. هكذا تبني الأحزاب؟! على الخطأ، ثم نحاول
الخستويات؟! لا يستطيع الواحد أن يبدي ملاحظة. ألم يكن رفيقنا قادراً على أن يقول للبكر
ولصدام: وا[illegible]ما مثلكما من قدّم طائفيته وأخّر بعثيته ما مثلكما من رفع شعار الطائفية
وقوّاها ومكّنها [illegible] إلى [illegible] مجدداً،
مع [illegible] آخر [illegible].

واتخذ القرار بالإجماع.

وا بهت قوّات مسلّحة من مختلف الصنوف إلى طريق النجف - [illegible]
والخوف وتنشر القتل والدماء.

فما هو هذا الخطر الّذي يتحدث عنه أحمد حسن البكر وصدام حسين والّذي ذهبت
[illegible]!

نحن الآن في أواسط شهر صفر من عام ١٩٧٤ أي أن زيارة الأربعين المهمّة جداً عند
[illegible].

[illegible] النظر [illegible] زيف، [illegible] أ.
ومن كان من سكّان [illegible] زيف، [illegible].

[illegible] الاستقرار [illegible]
الاختلاف أو العداء شأن فيها ودون أن يكون لما شأن فيه.

[illegible] خصوصاً إذا عرفنا أن هناك ثلاث محطات كبيرة يستطيع الزائر أن يأكل ويشرب أو ينام
[illegible].

وحلّ موعد الزيارة. [illegible]

وبدأوا سني هم قاصدين كربلاء. [illegible] لقد نشؤوا ونشأت أجيال طويلة عليها. [illegible]

[illegible]

ماذا فعلوا [illegible]

ولا يخاهو دونه [illegible] فرضاً واجباً لإمامهم صاحب أعظم ملحمة في تاريخ [illegible] كربلاء لفعلت. لكن هذا لم يكن في أذهان البعثيين. كان عكسه تماماً. كان النقيض له هو ما يفكّر فيه البعثيون. كان حقدهم وكرههم للحسين يزداد كلما ازداد حب الناس له وتعلّقهم به وإقبالهم على زيارة مرقده.

قال أحدهم [illegible] ! نستطيع أن نحطّم كل أعدائنا إلاّ الجسير [illegible] يلهب [illegible].

قال الآخر: وأنا والله لا أدري لكم تساءلت! لكم حاولت أن أجد جواباً لتساؤلي فلم أفلح! إنّه الخطر الّذي لا خطر علينا مثله [illegible]: ما أظنني رأيت ولا سمعت بمثل هذا الوفاء.

[illegible] الشيعة في الوفاء لهم.

[illegible] مسعورة متوحشه ترتفع من أبواق فى أماكن مختلفة من (ساحة المعركة) تطالب بسحق الخونة [illegible] وعدم الإبقاء على واحد منهم.

وامتلأت (المعركة) عن جثث وأشلاء وأوصال مقطّعة قد انتشرت فى الأرض. كان بعض [illegible] المشنقة التى عُلّق عليها الكثيرون. لقد كان يوماً [illegible] رأسه، [illegible].

وسأل الناس...

[illegible].

وردّد واحد وهو يطرق برأسه كأنّه يستحيي من السؤال: [illegible]. كان [illegible] أن يلتمسوا الأعذار للمجرمين [illegible] عنهم ويسبي ضيهم [illegible] جرائمهم. لقد انتهى حزب السماهني إلى حزب لأعدائهم. أسفاً على الحزب وعلى تراثه وشهدائه!

الفصل السابع

الشيخ عارف البصري - فرزدق وجرير

وحوار الفكر

[illegible] ... يجلس إلى جانب صديقه..... الّذي التقاه بعد أيّام لخيره فيها. قال وهو يأخذ رشفة من كوب [illegible]: ما لك يا صاحبي؟ أراك مغتماً حزيناً وقد كنا لا نضحك الاّ حين تكون بيننا؟! هل نسيت نكتك وحكاياتك [illegible] وأذكر أين جمعتها منك. [illegible] يستطيع من يسمعها إلاّ أن يضحك ويغرق في الضحك؟! [illegible] لقد حاولت [illegible] لقد كنت سارقاً أو مقلداً فاشلاً.

قال الآخر: [illegible] فاشل.

ضحك الأوّل وقال: إنّه لخير عزاء لي. لقد كنت ألوم نفسي أنى لا أحسن نقل حكاية [illegible]. لقد كنا في مقهى قرب جسر الأحرار (مود) من جانب الكرخ. [illegible] (م ح ف) و (ح ج ش).

ـقال الثانى: وقد بدت آثار حزن عليه وهو يتذكر أيلماً حلوة فى الماضي: ذلك زمان لن [illegible] فلا. [illegible] لقد غاب الضحك يا صديقي. [illegible] صديقك. لا أحد الآن يضحك. الحزن هو الخشبي كبير الناس [illegible] ينام الناس خائفير ويصبحون خائفير. [illegible] لقد أحسن الغرب [illegible] والغضب والحزن فى صوته: هل خمعت بإعدام الشيخ عارف البصري ورفاقه؟! لقد أحزنني جداً نبأ إعدامهم [illegible] لقد سبقته نذر طويلة لحن كان يعتـ .

قال الأوّل: [illegible] إذ [illegible] بإعدام الحونة والعملاء من أعدائه! كان يضحك وهو يعلن النبأ.

ـقال الثانى: لم أكن يوماً كما تعلم بعيداً من فكر الشيخ عارف. لم يخل لقاء لنا من [illegible]. كنت أختلف معه فى الكثير من القضايا. على أنى كنت [illegible] لكنّى أرفض [illegible] الأمل [illegible] أنا [illegible] أنا [illegible] أنا

[illegible] لكن عليك ألاّ تطلب من الآخرين بأن يفكّروا مثلك [illegible] فكريةً. كانوا أصحا[illegible] الإيمان عن عقيدته. [illegible] كانوا في مستوى [illegible] الفكر. [illegible] الّذين سيقتلوننا. لقد حكموا على الشعب العراقي كلّه بالإعدام: شنقاً [illegible]. يريدون أن يجعلوا من حكمهم الفلشي [illegible] لا نقد ولا رفض ولا [illegible] أغخص أ[illegible]هّد ويغذّي النقد والرفض والثورة.

قال الأول: لخ أرك مدحت فكر حزب الدعوة كما مدحته الآن.

قال الثاني: لنا لخ لمدح ولخ أذم [illegible] خ. هذا هو شأن الفكر حير يناقش الفكر. حزب الدعوة يحمل فكراً. فهل بعد غريباً أن أختلف معه؟! هذا [illegible] ذاك. قلت لك [illegible] قد يكون الحق في لنبه وقد يكون في انبي قد يكون مصيباً وقد لكون. إنّ الأفكار يا صاحبي [illegible] والحكم عليها باختلاف ظروف الزمان والمكان [illegible] والتخلّف والإجرام الّذي يسمّى فكراً.

[illegible] يحمله. ليس مهمّاً ماذا يكون موقفي منه ومن فكره.

قال الأوّل: ألا ترى أنّ صوتك بدأ يعلو ولا لمن أن يكون في الحقهي من يسمعنا [illegible] الأخطر. إنّ اسمولسيس يملؤون للعراق لليوم [illegible]!! لقد حوّلوه إ لم [illegible] أرض [illegible].

قال الثانى: هذا أهون ما أفكّر فيه. إنّ ما أريده وأفكّر فيه غير هذا ولكن من هذا. أرجو أن يكون لى قريباً موقف أرتضيه لنفسي ولوطنى. سأطلب لك الثأر يا وطنى من هؤلاء [illegible] ز. [illegible] ز. [illegible] ز.

قال الأول: لقد أقلقتنى وا[illegible] ماذا تعتزم أن تفعل؟! إنّ كلامك يشني إ لم شيء خطير، هل تريد أن...

[illegible] الثانى: إ لم أي مكان لستطيع أن أحمل السلاح ولحارب هؤلاء [illegible]. هذا سر أريدك أن تحتفظ به الآن.

قال الأول: وهل تبيك أهلك وأولادك؟!

قال الأول [illegible]. وهل للّذين يحملون السلاح الآن لا أهل لم ولا أولاد؟ [illegible] لحد. إذن ستبادون فى ظلمهم ولستباحتهم لنا. سأكتب لك. ستصلك أخباري. لظن الأهوار منطقة سياحية ثمينة. لكم [illegible].

تي شدّ على يد صاحبه والّذي كان يردّد وراءه: لا تنس الرسائل، أخبارك دائماً.

الفصل الثامن

الحزب الشيوعي العراقي - الجبهة مع البعثيين

١٠ آب ١٩٧٨

الرفيق العزيز

(... ولا أدري يا رفيقي ما هي الأسباب التي تقف وراء إصرار قيادة الحزب الشيوعي على الاستمرار بالعمل مع البعثيين [illegible] من أية زاوية نظرت إليه ويشاركني الرأي الكثيرون من الرفاق. وكنت قد تسائلت قبل عدة سنوات ومنذ بدأ الحديث عن جبهة مع البعث: ما هي جدوى دخولنا معهم في جبهة عمل [illegible] إذا كان صحيحاً، [illegible] لا يغير من أمرك شيئاً!

[illegible] - وأقصد القيادة طبعاً - [illegible] تحوّل إلى [illegible] تابع [illegible]. حتى ثوابته الفكرية لم تعد عنده ثوابت. لقد تغاضى عنها أو حرّفها لكي يرضي البعثيين ويبرّر موقفه منهم. لا أدري إلى أين يتجه الحزب في ظل هذه القيادة.

[illegible] تجاوزات خلال السنوات [illegible] يعدل [illegible]. رأيتني مضطراً أن أنسحب من الحزب الّذي آمنت به وأمضيت سنين طويلة من عمري فيه. كنت سعيداً بالعمل في صفوف مناضلية الّذين [illegible]. وأظنك غني بعيد عن هذا. كنت أجرأنا وأشدّنا حماساً واندفاعاً.

أعذرك الآن وأنا أذكر يوم جئت تحدّثني بأنّك قررت الانسحاب. لكم حاولت أن أمنعك. لكم اختلفت معك. وها أنا اليوم أخطو الخطوة التي لختك عليها. إنّ الصراع مع [illegible]!

تجيئنا [illegible] أ[illegible] في [illegible] [illegible].

الرفيق

غالي

كانت هذه الرسالة تعكس حالة الإحباط التي سيطرت على مناضلي الحزب الشيوعي [illegible] كما.

[illegible].

[illegible] إلى الإشراك في جبهة واحدة مع البعثيين؟! أهو الخوف منهم؟! أهو حب السلطة وإغراؤها والرغبة فيها؟! أهو تغيّر طرأ على فكر البعث وسلوكه؟! أهو...؟! وتستطيع أن تطرح أكثر [illegible].

[illegible] إلى [illegible] بعيد.

[illegible].

[illegible] البعثيين. كان هذا فكر [illegible] ١٩٦٣ ولا بعد ١٩٦٨.

قال أحد عمّال شركة الزيوت مخّن أصيبوا في إضراب تشرين الثاني من عام ١٩٦٨ لآخر [illegible]: هل صحيح ما يدور الآن عن اتّجاه الحزب للدخول في جبهة مع البعثيين؟! هل يمكن هذا؟! لقد كثر الحديث عنه هذه الأيّام. هل جمعت أنت شيئاً؟ إنّ هذا الحديث يقلقني ويحزنني.

قال الثاني: والله ليس لديّ شيء مجدّد. لقد تحدّثنا طويلاً في الماضي عن أزمة الحزب وحاضره ومستقبله، لقد أردت فقط أن أتحدّث معك عن مشكلة أخرى تشغلني.

لقد أظنّها إلاّ إشاعات ينشرها أعداء الحزب. لقد أصدرت صورة الحزب. كيف يمكن لشيوعيّ أن يأمن بعثيّاً في عمل على هذا المستوى! هل تذكر كيف هجموا علينا في إضرابنا بعد فترة قصيرة من استيلائهم على الحكم؟ لماذا فعلناه؟ لأنّنا مارسنا حقّنا الطبيعي في الإضراب؟! كيف يعدّ العمّال البعثيّ! هل ارتكبنا جريمة؟! هل قتلنا أو سرقنا أحداً؟!

هل تذكر هجومهم علينا بالرشاشات والسكاكين. لقد رأيت الرفيق (ك) وقد أصابته رشاشة فسقط ودمه ينزف. والرفيق (ف) الذي أصيب في أكثر من موضع من جسمه، تناولته السكاكين حتى بعد سقوطه. لقد جرى الدم غزيراً يومها: من لم يقتل جرح أو اعتقل، قلّ منّا الّذين سلموا.

قال الثاني: واحتفال ساحة السباع في ١٩٦٨/١١/٧؟! لقد تجوّل إلى معركة من طرف واحد ما الّذي غاظهم منه؟ لماذا أثارهم؟! كيف هجموا علينا ونحن نحتفل؟! أي ضنى! إنّه وحده (الاشتراكي)؟!

قال الأوّل: وا لقد تعبت من التفكير. لا أريد أن أصدق. أخشى أن يكون ما أخشى مجرّد إشاعة يقف وراءها أعداء الحزب [illegible] اسمهم [illegible] آخرين [illegible]. إنّي لأظن... [illegible] قطع كلامه وضحك قائلاً: غ، غ. لا تجعل كلامي مجمل اسمد. إنّي أبالغ أحياناً في سوء الظن. لا يمكن أن يبلغ الأمر بالرفاق حد الدخول في جبهة مع البعثيين. إنّهم لن يكون عند ذاك خطأ. سيكون جريمةً. غ، غ. لا أصدق. لا يمكن.

[illegible]. وعند الغداء في مطعم [illegible] للغداء. [illegible] ذهول [illegible] شبه [illegible]. [illegible] لقد كان شيئاً لا يصدّق. ما الّذي جرى حتى يقبل الحزب الشيوعي [illegible] أن يدخل في جبهة سياسيه واحدة معهم؟! هل نسي شباط ١٩٦٣ [illegible]! هل نسي قيادته وكوادره الّذين قتلوهم بوحشيّة قلّ نظيرها؟! هل نسي الجرس للقومي وما فعلوه؟! هل نسي الدماء التي جرت في كل حيّ وشارع من بغداد وغني بغداد؟! هل نسي الكاظميّة والصالحيّة و (عقد الكراد)؟! (١)

ولتبرير ذلك الانقلاب ومآسيه [illegible] هذا؟! هل نسي الحزب لهزرة إضراب العمّال في شركة النيوت؟! وهل نسي بعدها لهزرة ساحة السباع؟! هل نسي القتل لليومي لأعضاء الحزب وكوادره ومناصريه. ليس ذلك مخّا ينسى.

---

(١) هذه مناطق في بغداد شهدت معارك عنيفة بين الشيوعيين ومعهم قوى المقاومة الوطنية الأخرى وبين البعثيين والعصابات الفاشيّة وأجهزة الأمن والمخابرات.

قال الآخر: وما العمل الآن؟ ماذا علينا وماذا نستطيع أن نفعل؟! لا سبيل إ لم إلغاء [illegible].

قال الأوّل: لكن القيادة لم تكن تجمع أعضائها مع السمبهة. لقد كانت الأغلبية فى التصويت الأول ضد السمبهة (ثمانية مقابل سبعة) لكن (السمبهويين) فازوا بحيث انتقل واحد من المعارضين إ لم صفّهم [illegible] أحد يعلم كيف أضيف [illegible] ذاك على القيادة. وسيدعمنا طبعاً الأعضاء الّذين كانوا فى الأصل ضدها.

واتّفق الاثنان على ذلك قبل أن يفيقا ويعود كل منهما إ لم عمله فى الشركة.

[illegible] لقاءات متفرقة يعرض الحزب فيها شكاواه من تعرّض أعضائه لعمليات قتل ومطاردات ومضايقات يوميّة. لم يعد له دور ولم يعد البعثيون يريدون أن يكون له دور. لقد استنفدوه وانتهت مهمّته.

[illegible] عناصره خلال شهر مايس من عام ١٩٧٨.

وبقيت رسالة الرفيق دون جواب.

الفصل التاسع

وقعت السيدة بتول بنفسها على بقايا جسم ممزّق الملابس، فأخذت تصرخ بأعلى صوتها: "ماذا فعلت؟ لماذا قتلوك؟ لماذا يسعفها الحظ؟ لماذا فعلت؟! لماذا يسعفها الحظ؟ لماذا قتلوك؟ لماذا فعلت؟! أهذه شرفاء؟! أخ يكفهم ما قتلوا حتى الآن من شباب ورجال ونساء؟! أخ يعلّوا منظر الدم؟! أتراهم جاؤوا لقتل العراقيين؟!

وكان صوت السيدة بتول قد بدأ يضعف وهي تبكي زوجها السيد عبد الجسير أ. كانت تقولان شيئاً كما تقولان: لن نرى أبانا بعد اليوم. كنا نلاحظ أن صوتها صار يضعف شيئاً فشيئاً. لقد فرّقهما الموت. لقد فرّقهما الموت: لن يعود للفرح إلا لم الشمل، بعد أن أشرقت الأحزان.

وأمهما الجنينة الثكلى لن تعود البسمة إلا لم وجهها. سيلفّ الحزن البيت كله. لقد غاب عنه من كان يبعث البسمة فيه. إنّه الحزن المقيم لن تلاطفهما ولن تضحك معهما كما كانت. ليس قليلاً ما حصل لنا. فقدته فجأة. ظلّ أبو، ظلّ أبو إلا شطراً. إلا شطراً. ظلّ أبو، ظلّ أبو، توجد في غيره من مناطق العراق. لكنّه لم يعد إلاّ في كفن... التي سقطت جنب الجسد الممدد - لم يكن السيد عبد الجسير يعلم أنّ الجهاز الّذي ربطه رجال صدام على بطنه هو حزام ناسف، قالوا له حين سأل لم مستغرباً عنه:

إنّه [illegible] فربما نسيت أو نسي بعضها أو أسيء نقلها وروايتها بعدما تعودون - سالخير - إلى بغداد فالقيادة حريصة على أن تسمع بشكل دقيق وجهة نظر (الإخوة) الأكراد وتصوّرهم لحل الأزمة التي ستناقشها [illegible]. إنّكم تعرفون خطورة الموضوع ودقّته. إنّ القيادة تثق فيكم وفي إخلاصكم وقدرتكم على إنجاح هذه المهمّة الوطنية [illegible]. حاولوا ألاّ يفوتكم شيء من كلامه.

والتفت إلى السيد عبد الجبير: [illegible]. فليكن المسجّل دائماً قريباً منه.

[illegible] قال في نفسه: أظنني ظلمتهم وأنا أشك فيهم. [illegible] مسجّل [illegible] صورة الجبل الّذي تراه للمشكلة التي ذهبنا من أجلها.

[illegible] إلاّ لتثور في يوم آخر. [illegible] لا ينقطع جريانه. عهود وحكومات عديدة ومختلفة [illegible].

والأكراد قوميّةٌ مستقلةٌ مختلفةٌ عن القومية العربية. [illegible] ومطلبهم المرفوع دائماً هو الحكم الذاتي، [illegible] الحكم الذاتي للأكراد بكل ما تقتضيه من حقوق وصلاحيّات.

لكن الجل غاب بغياب الحكمة والشجاعة وبقيت المشكلة تتفاقم مع طول الزمان عليها.

[illegible] أرأى، [illegible] سعى دائماً لإبقائه قلقاً مضطرباً حتى يجد المنفذ للتدخل في شؤونه. في هناك [illegible] التباعد وانقطاع الاتّصال وطول الوقت الّذي لازم هذه المشكلة دون حل.

[illegible] هي حكومة للزعيم عبد الكريم قاسم. سارت في طريق الحل خطوات جادّة أسعدت غالبية [illegible].

[illegible] المدف: الحكم الذاتي.

وكان الجواب نفس الجواب: [illegible] يتعلّق الأمر بشعب يطالب بحق له.

وتوالت المعارك. وتوالى سقوط الضحايا من الشباب، الحزين الدائم حين تثور المعارك وينشب القتال.

[illegible] كوارث على كل صعيد.

وحين استولى البعثيون على السلطة في تموز من عام ١٩٦٨، [illegible]: الأكراد والحزب الشيوعي (وأرجئ الحديث عن القوّة الثالثة - حزب الدعوة) التي سيكون لها دور خطير فيما بعد.

ولم يكن البعثيون قادرين على مواجهة هاتين القوّتين [illegible].

وبدأت المفاوضات مع الأكراد. استمرت فترةً طويلة قبل أن تنتهي بإعلان ١١ آذار ١٩٧٠.

ولم يكن صدام جاداً ولا صادقاً في موضوع الحكم الذاتي. كان يحمل فكراً شوفينياً [illegible] أراد أن يسيء مؤقتاً من جبهة الأكراد التي تنذر بالاستقلال: ضحك في سره وهو يوقّع الاتفاق:

- [illegible] ستعرفون صدام كما لم تعرفوه. [illegible]

[illegible] ولستبعدوا احتمالات الحرب بتوقيع الاتفاق. كما استمال عدداً من رجالهم للتعاون معه، [illegible].

[illegible] بالخضمونة. كان يفكّر بشيء آخر إلى جانبه هاتير أو قبلهما. كان يخطط لعمل آخر. عليه أن يضرب القيادة الكرديّة ويتخلّص منها. [illegible] يكرهه صدام ولا يطيق ذكر اسمه. إنّه يفكّر في قتله. [illegible] لو قتل ومعه عدد من القيادة الكرديّة.

[illegible]

وكانت الأمور قد تأزّمت مع الأكراد بعد أن بدأ اسمنب البعثي يتخلّص من التزامه [illegible].

ها هي الفرصة سانحة الآن: وفد يتوجّه إلى كردستان لمقابلة القيادة الكردية وعلى رأسها [illegible] يسمح له بشيء من حريّة الحركة وسعة الاتصالات دون رقابة شديدة. سيستطيع صدام إذن أن ينفّذ ما يريد من خلال هذا الوفد. [illegible] حين يفجر الجزام.

-ما أروعك يا صدام وأذكاك! هذا ما لا يستطيع الخالا أن ينجو منه؛ لأنّه لا يستطيع أن يفكّر فيه. ما أدهاك وأدهى خططك! [illegible] ز نصدقه، [illegible] ناظم كزار.

-متى سيسافر الوفد يا ناظم؟ هل أنت مطمئن إلى الخطة؟ عليك أن تشرف بنفسك عليها وعلى جميع تفاصيلها. متى سأجمع الحـ ّ؟ أريد أن أجمعه قريباً.

-قال ناظم: غداً صباحاً سيسافر الوفد. لقد أشرفت بنفسي على كل شيء ولخبيت [illegible] للشك فيه. سنقول للدخيلي إنّه جهاز لتسجيل المفاوضات التي ستدور بينهم وبين الأكراد [illegible] كفل أرط ش. لن ينجو أبو إدريس هذه المرة. وما لل ّزاني مما بخصص الصدفة. وعاد السيد [illegible] في ئ كا [illegible] مسرصه نه زهصه. لقد مزّقه المسجل الّذي كان يحمله.

الفصل العاشر

[illegible]

[illegible] الحديث فى أي لقاء يجمع لثير من العراقيين بل إنّ العراقي لا يحتاج فى الحديث عنها إ لم من يشاركه فيه. [illegible] لقد كانت الخنطقة كلها تنتظر وتيقّب وتتابع.

[illegible] العمر والخدرسة الولحدة [illegible] خ. تي جاءا إ لم بغداد. دخل الاثنان كلية الحقوق فى بغداد. [illegible]

[illegible] رنّ جرس التلفون فى غرفة حسين الّذي كان يتابع ملفّاً ضخماً من ملفات للوزارة يريد أن [illegible] قال المتحدّث على الطرف للثاني من الخط [illegible] أن يسلّم عليه. إنّه توّاق إ لم رؤيته وسماع أخباره. لقد مضى زمن طويل دون أن يراه.

[illegible] فرغا من عملهما.

وحاول فاضل أن يعتذر لكن حسير رفض كل عذر بشكل قاطع. قال [illegible] ينتظرها منذ زمن [illegible]. إنّه في غاية الشوق إليه والحديث معه ولن يقبل أيّ عذر.

[illegible] الصديقان ألاّ يضيعا دقيقةً واحدة من اللقاء. كانا قد سبقا إلى المطعم قبل الثانية. كان [illegible] منهما للقاء الآخر [illegible] يفيقان في الماضي.

[illegible] على المائدة واختار منهما [illegible] تتحوّل إلى ذكريات. ما أسرع هذا الزمان يا صاحبي! لتراه كان دائماً سريعاً [illegible] نحن لا نشعر به [illegible] لو استطعنا أن نعيدها ونتجاوزها. كانت بطيئة ونحن معجلون؟! والآن...؟! هل تغيّر الزمن أم تغيّرنا؟! [illegible] الذاكرة آنذاك فتيّة قويّة.

قال فاضل ضاحكاً: وهل تشكو ذاكرتك الآن؟! ألا يعني تذكّرك ما مرّ عليه أكثر من [illegible] تضعف ولا يوهنها الزمان؟! لماذا هذا الزمان يا عزيزي؟! هو هذا الّذي ينضج الثمرة التي يقتلها.

هو هذا الّذي يبعد القريب ويقرّب البعيد. هو هذا الّذي يعطيك ما تريد التي يسلبه منك. هل أشكره على العطاء أم أذمّه على الاسترداد؟!

ـقال حسـير وهو يعود إ لم ـحديث ـللذاكرة: ـكم تمنيّت أن تكون ذلكرتم كما تقول! ـلقد ذهبتـيا عزيزي. [illegible] .ـهذا ـللّذي يعطيك ـما تريد تي يسلبه منك. الذاكرة؟ [illegible] ـليوم. [illegible] قديمة قوية. ولكن دعنا ـمن ـهذا ـماذا عندك ـمن أخبار السياسة؟ ـيبدو لنا بانتظار أخبار [illegible].

قال فاضل وهو يعدّل وضع نظارتيه: أظنّك تريد الحديث عن الثورة الإيرلنيّة: ـهذا الحدث [illegible].

ـقال حسـير [illegible] !إنّه الحدث [illegible] للعالم. [illegible] [illegible] أيضاً ضد.

ـقال فاضل ـيبدو لي ـيا صاحبي أنّ كل شي عقد انتهى. [illegible] أضاف [illegible] يكرروا بمرية فيتنام [illegible] أن يحصّنك ويدفع عنك مخاطر بمرية أخرى.

[illegible] ـفرص للتقدّم ـستكون مشلولةً أو معطّلة [illegible]. لم يعد إلاّ ذكرى مقيتة للطغيان والاستبداد الّذي ـما أسرع ـما ينهار عند أول مواجهة ـمع الشعب ـحير يصـمّم على لسيإد حقّه [illegible] المقهورة بقوة الخارج وعملاء الداخل ـما أظن للغرب ـقادراً على أن يفعل لليوم ـما فعله في بدلية الخمسينات ـمع ثورة الدكتور مصدّق. ـهل ـتذكر؟ ـلفر الشاه تحت غضب اسماهني [illegible]: اسمنرال زاهدي. لم تكن الثورة قد تمكّنت بعد من ترسيخ وجودها، خرت [illegible].

[illegible] . كانت ثورةً عظيمةً.

لم تكن انقلاباً عسكرياً كما حصل قبلها وبعدها في دول المنطقة. أيام مشرقة من أيام [illegible] إ، سيسجّلها [illegible].

لقد تآمروا عليها وقتلوها فتيّةً. أرادوا أن يسيئوا منها. كانت أكبر مما ظنوا. بقيت حيّةً في [illegible].

قال حسير وهو يتابع بانتباه (محاضرة) صديقه [illegible]: على أية حال [illegible].

[illegible] أمنيكا [illegible]. [illegible] إ [illegible]: عقوبات [illegible]. وداخلياً [illegible] واضطرابات ومؤامرات ومشاكل في الأمن والاقتصاد. عملاؤها في كل مكان. [illegible] وكل هذه السيطرة التي تمتلكها الآن [illegible] الذين يهيؤون لها أسباب التدخّل.

نظر فاضل إلى ساعته ثم قال وهو ينهض [illegible] أن، [illegible] أن، [illegible] لحظات سعيدة نحاول أن نغتنمها قبل أن تصبح ذكريات [illegible] أن، [illegible] في هذه الليل [illegible] ألا يكفي أنّه طريق النجف؟! لا أراه واقعاً يوماً أسوأ منه في [illegible]. يريدون الموت لكن يسني فيه. [illegible] الطريق. إنّ أهل النجف يسمّونه طريق الموت. هل تعلم كم من الناس يموتون في هذا الطريق كل يوم؟!

[illegible]: أبعد [illegible] السياسة [illegible]. لقد أفسدت لقاءنا هذا بعد فراق طويل [illegible] الموت.

[illegible]! ليتنا نستطيع يا صاحبي.

وردّد الاثنان: ليتنا نستطيع، [illegible].

الفصل الحادي عشر

كان حسير مغتبطاً بادي السرور حين دخل البيت [illegible] بعد فراق طويل. كان صديقه [illegible].

قالت له زوجته وهي تستقبله [illegible] عليك. لقد استعدتما ذكريات الشباب وأيام الدراسة وأزقّة النجف وما سلمان وصالح [illegible] أضعتما الوقت في حديث السياسة.

قال: وا لست محطة وأنت تذكرين السياسة، لقد كنت حاضرة. لا أدري ما الّذي [illegible] من يريد السفر ومن يعود منه. [illegible] طويلاً أو قصيراً. ولكن ما عندكم أنتم؟! كيف الأولاد؟! كيف علي؟! [illegible] واجباته؟! أين هو الآن؟!

قالت زوجته: سأناديه لك. إنّه مضطرب منذ عاد اليوم من المدرسة. لقد تعبت معه. ربّما استطعت أن تفهم سبب اضطرابه وتطمئنه.

قال: ما به؟! ماذا حصل له؟! هل تعرّض لمكروه في المدرسة؟! هل تشاجر مع زميل له؟! [illegible]!

قالت: لا. لا شيء من ذاك.

قال: ماذا إذن؟

[illegible] إنّه طالب في المدرسة الابتدائية [illegible].

قال له أبوه وهو يتلقاه بابتسامة الأب لابنه: ها كيف الدراسة يا علي؟ هل أخذني نتائج الامتحان في التاريخ؟

قال: لا. لم تعد لنا المعلّمة أوراق الامتحان ولم تحدّثنا النتائج.

ـقال الأب: ـماذا ـبك؟ ـلأمك ـتقول ـإنّك ـقلق ـحزين ـمنذ ـعدت ـمن الخدرسة. لخ ـجلس ـمع إخوتك وأمّك ولخ تضحك كما اعتدت. فماذا بك؟ ما يحزنك؟

[illegible]: دخل علينا مرشد [illegible]: هل تجب الجزب؟

نعم أحبّه: قال كل منّا وهو يرد على السؤال.

وهل أنت منتم إليه؟

لا.

هل تريد أن تنتمي للحزب؟ وكان معه أحد البعثيين من خارج الخدرسة: رجل غليظ أخمرٌ [illegible]. كنا [illegible]. وإذا قلنا: [illegible] لا تنتمي إ لم الجزب ما دمت تجبّه.

وحين وصل [illegible]. خفت فقلت أنتمي.

وقدّم لى ورقةً كتبت فى ذيلها ووقّعت. وقّع طلاب الصف كلّهم. [illegible] صفّق السميع وهتفوا لطلائع البعث.

لقد خوّفونى وأجّ ونى. لخاذا يفعلون هذا يا بلبا؟! ـهل ارتكبت خطأً؟ ـهل تسامحنى؟! ـلقد [illegible] أكره ـهذه العصابة. ـلقد خمعت الكثني ـعن جرائمهم. ألخ يكن عمّي ولبن خالتى ـمن ضحاياهم؟! وابتسام [illegible] جرّوها من باب بيتها؟! [illegible]

- أي أسلوب خبيث فى استدراج الطلاب الصغار؟ قال الأب ذلك فى نفسه وهو يستحضر بخا تعرّض له قبل أسبوع. لخ يكن مختلفاً كثيراً عمن [illegible] .

[illegible] للمليّة. فكّر (ما الّذي يدعوه للوزير - إ لم طلبى؟ [illegible] عملي فيها [illegible] مشوظف فى وزارته ويسأله عما يخص عمله) لكنّه لخ يفكر مطلقاً فى السبب الجقيقي وراء استدعائه.

[illegible] الوزير. قال مدير الخكتب وهو يسبقه إ لم فتح الباب:

إنّ للوزير فى انتظاره. وعندما حاول أن يستدير [illegible] أمامه.

[illegible] بكوب شايّ بعد أن سأله عما يفضّل أن يشرب [illegible]: إنّ معجب [illegible] على حرصه وجدّه.

قال حسير: إنّه واجب ولا يشكر الإنسان على واجب يقوم به. إنّ الوظيفة والخوظف [illegible].

وعاد للوزير ليقول: [illegible] وقد كلّفنى أن أقدم لك شكره. [illegible] إنّه يرحّب بكل العناصر الحيّة الخؤمنة بخط الحزب وفكره. [illegible] قدّم الحزب من تضحيات لتحقيق أهداف الأمّة العربيّة والشعب العراقي. كم من الرفاق الخناضلين [illegible] أصل اسماهني العربية فى الوحدة والحريّة والاشتراكيّة. هذا ما لا يختلف فيه اثنان. سيكون [illegible] الأبواب. شصطاد لعلك ستشغل منصب وكيل للوزارة الشاغر الآن. قال ذلك وهو يبتسم فى وجه حسير [illegible].

ضحك حسير في سرّه وردّد: الآن عرفت لماذا استدعيتني. لا والله لن أدخل الشرك لن [illegible] كـ. أأكثر من تأخيني التوقيع أو النقل أو الإحالة على التقاعد؟ [illegible] التقاعد [illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible]

قال الوزير بعدما تبين له أن السيد فؤاد رفض حضور الانتماء للحزب: على كلٍّ، خلّ أخطاءك شأنك. أما آراؤك [illegible] وواردة لا تعتب عليّ. ستكون أنت المسؤول لو حصل شيء منها. قال ذلك وهو يغمزه بنظرة فيها التهديد وفيها الوعيد. ثم أعلن انتهاء المقابلة.

[illegible] كان [illegible] عليه علي تفكيره قائلاً: بلبا [illegible] أن [illegible] نحن الذين لا نقتل ولا نؤذي ولا نعذّب.

[illegible].

الفصل الثاني عشر

ثنائي البكر - صدام

لم يكن صدام التكريتي - وهكذا كان اسمه - معروفاً لدى العراقيين إلاّ كواحد من أفراد العصابة التي حاولت اغتيال عبد الكريم قاسم في شارع الرشيد خريف عام ١٩٥٩.

أُ[illegible] كضلعه[illegible] أرابه[illegible].

وحين قام انقلاب ١٩٦٨ [illegible] واحداً من بين آخرين تبدد أسماؤهم.

كان صدام من تكريت [illegible] للإنقلاب. وكان هذا بدون شك من أسباب تقدّمه وبمأوزه لأقرانه من البعثيين.

أ[illegible] الطريق [illegible] المحافظة تحمل اسم [illegible].

وكان صدام يعاني من الفقر والحرمان في طفولته وصباه. لكنّه كان يعاني في داخله مما هو أكثر وأخطر عند العراقيين آنذاك: عقدة ا[illegible] حرم هو منها.

وظلّت هذه العقدة تلاحقه وتحكم تصرفاته [illegible] الّذي لا ينازعه أحدٌ في سلطانه [illegible] من يكون صدام والبيئة التي نشأ فيها. يعرفون جيداً أنّ أمه اضطرت للزواج من رجل آخر [illegible].

[illegible]

وسرعان ما صعد صدام إلى المواجهة متخطياً كل الذين كان من الممكن أن ينافسوه أو [illegible]. قتل البعض وخوّف البعض وتآمر على البعض. [illegible] عام ١٩٧٥ حتى كان صدام نائباً لرئيس الجمهورية ورجل الحزب القوي والموجّه لسياساته في الداخل والخارج.

لم يبق أمامه إلاّ أحمد حسن البكر لمجرّداً من كل عناصر القوّة. كان صدام يتّخذ [illegible] هذه الفرصة وإلقاء التهمة على البكر وتشويه صورته.

كأنّ يداً خبيثة كانت ترفع به إلى المواجهة...

أصبح البكر مجرّد لوحة تقرأ فيها تأريخ الانقلاب أو ديكوراً بلغة هذه الأيّام. كان مراقباً [illegible]

انتهى الرجل الّذي ولد في تكريت عام ١٩١٤ ووصل برتبة عميد في الجيش العراقي وأصبح رئيس للوزراء في انقلاب ١٩٦٣ [illegible] السلام عارف بأنّه لن يشارك في أيّ عمل سياسي يقوم به حزب البعث [illegible]. لقد أستنفده تخلصاً ولم يعد [illegible] إلى.

واقيمت أيام تموز: موعد الاحتفالات بذكرى ثورة الربيع عشر منه للشعب العراقي و١٧ منه للبعثيين. واتسع الممس وانتشر: أنّ صدام سيتولى رئاسة الجمهورية بدلاً من البكر.

وفى مساء ١٦ تموز من عام ١٩٧٩ أعلن عن تخلّي أحمد حسن البكر عن رئاسة الجمهوريّة وتولّى صدام حسين الحكم.

وختمت صفحة لتفتح صفحة كانت مفتوحة لمن يقرأ صفحات الكتاب جيداً.

- إذن لم يكن فاضل محقاً حين تنبأ بأنّ صدام سيصبح رئيساً للجمهورية فى مستقبل قريب قد لا يتعدى تموز القادم. [illegible] الأخير الّذي تمعه إلى فاضل وتناولا فيه مسار الأحداث فى العراق.

[illegible]

وكان حسين يستبعد حصول ما ذهب إليه فاضل [illegible]: [illegible] الآن؟ لماذا الّذي يعوزه! إنّه للرئيس الفعلي. ولا تنس أنّ البكر هو الّذي احتضن صدام وقدّمه ودعمه فى وجه خصوم كثيرين كانوا أقرب إلى المكان الّذي يشغله صدام اليوم. وإلى كل ذلك فما يزال البكر يتمتّع بشيء من القوة والنفوذ فى أوساط بعثيّة قد ترفض تولّى صدام السلطة، [illegible] على القيادة الجديدة. أليس هذا وارداً؟! ألا تتفق معي فيه؟! ألا يمكن أن يؤدّي هذا إلى [illegible]!

قال فاضل: [illegible] الآن.

[illegible]! إذن كل هذه القوات وكل هذه القواعد المنتشرة فى المنطقة وحولنا؟! وكل هؤلاء الملوك والرؤساء والمشايخ فى أواخر القرن العشرين؟!

وهذا الحدث الجديد ذو العشر درجات على مقياس ريختر؟ [illegible] بعيداً جداً فى المكان والزمان. [illegible] الصريح له وتحرّض عليه وتدعو لمحاربته وإخراجه؟!

قال حسير: [illegible] لنا أتحدّث عن صدام والبكر وحزب البعث وصراع [illegible]

قال فاضل: اسمع يا عزيزي. المسألة واضحةٌ في نظري [illegible] لم يغني إيران. عليه أن يحارب الثورة الإيرانيّة ويتخلّص منها لكن لا يريد أن يدخل هو طرفاً في الحرب. لقد [illegible] إنّه يفتّش عمّن يحارب الحميني بالنيابة. [illegible]: الحرب بالنيابة؟! أظنّه اصطلاحاً [illegible]: مقاتلين وسلاحاً وأموالاً.

من المهيّأ لحرب النيابة ضد الحميني؟ من القادر عليها؟ فتّش عن الدول القريبة من إيران. لن يمد غني دول صغيرة أو فقيرة أو مشغولة هي الأخرى بمشاكل في داخلها [illegible]. أظنّك عرفت الآن سرّ ما يجري في العراق [illegible] الشاه. صدام هو رجلهم الّذي ادخروه لمثل هذا اليوم [illegible]، وهذا هو الرجل المثالي لتحقيق أهدافهم والثأر من الحميني. يريد أن يلعب دور البطل القومي في [illegible] على كل حال.

[illegible] العزيز العلاقة بين صدام والبكر وإيران ومقياس [illegible]؟ [illegible] العلاقة بين صدام والبكر وإيران [illegible].

قال حسير وهو يستحضر مرةً أخرى ذلك اللقاء: والله لقد كشفت الأيّام صدق ما قلت يا عزيزي فاضل.

الفصل الثالث عشر

صدام، البداية، تجهيز المؤامرة

وتصفية الخصوم

[illegible] ينتظره فجر تلك الليلة. لقد مرّ اليوم ولا جديد فيه مما يقلق أكثر من أيّام أخرى سابقة كلها [illegible] ١٩٦٨، [illegible] إ[illegible] الجمهورية. لكن الساعات القليلة القادمة ستحمل له خبراً سيّئاً شديد الأثر [illegible] حوالى الرابعة من فجر أحد أيّام أيلول ١٩٧٩ [illegible] لا يزال للنوم في عينيه. [illegible] : [illegible] ليتني أستطيع أن أغلقه قبل النوم. ولكن كيف؟! أليس من [illegible] بشيء [illegible] التأخير؟!

[illegible] تكان صوتاً جافّاً قاسياً يقول: (لقد رمينا جثّة الخائن عبد الواحد أمام بيته).

وحين أراد الحاج علي أن يستفسر أكثر [illegible] أصبحاً بـ ٩ش.

[illegible] الواحد الّذي لا يبعد عنه كثيراً.

[illegible] الواحد [illegible] أكمل بناءه منذ قريب.

[illegible] من باب البيت.

نظر الحاج إلى الشّة واستعاد صورة عبد الواحد الشاب الّذي يفيض حيويّةً ورجولةً وشهامةً (كان بعثيّاً وهذا في ذاته خطأ [illegible] في نظر رئيس عصابة البعثيّين الآن. لقد منحه صدام قبل يوم واحد من اعتقاله درجةً عسكريّةً أعلى من درجة (عقيد) على أن يرفعه في اليوم التالي إلى رتبة قائد فرقة).

[illegible] إلى المكوادر الحزب ومنتسبيه. ولو أنّ انتخابات جرت لمنصب رئاسة الجمهورية لكان غيره الّذي سيتولاها.

[illegible] خصومه البعثيّين ويصفّيهم ليتفرّغ لخصوم آخرين. ذلك هو السبيل الوحيد لكي يحكم مطمئناً دون خوف ولا قلق ولا [illegible] إلى [illegible]. أوّل ما يفعله هو [illegible] فيه. سيأتي بأشخاص يدينون له. [illegible] وبأ [illegible] مخّا يعتزّ به الإنسان أو يستطيع أن يتكئ عليه في الميدان السياسي الّذي يخوضه.

[illegible] السبيل إلى لم للتخلّص من هؤلاء البعثيّين [illegible] لا في العراق ولا في خارج العراق.

[illegible] البحث فى مسائل خطيرة تستوجب البحث. [illegible].

وهنا أطلق صدام ضحكةً عاليةً [illegible]: هذه هي اللّعبة والـ[illegible]لن يخرج أحدٌ منكم إلاّ للقتل أو للسجن الّذي يتم فيه القتل. لن يخرج أحدٌ منكم، لن يسلم أحدٌ؛ [illegible].

وبدأت الإجراءات اللازمة لعقد المؤتمر. وطارت الدّعوات إلى (الرفاق) لحضوره.

كان رئيس جهاز الأمن الخاص بصدام قد انتقى عدداً من كبير أفراده ممّن يعرفهم ويثق [illegible].

وجاء الموعد ودخل (الرفاق) إلى مكان الاجتماع. وحير تأكّد المسؤول عنه أنّه لم يبق [illegible] حرس مدجّجون لمتدّ بعضهم إلى الشوارع الفرعيّة المؤدّية إلى مكان الاجتماع ليمنعوا الوصول إليه.

[illegible] مشبهمة تصدر من بعض المنتشرين فى القاعة يفهمها آخرون منهم.

الرفاق المدعوون يسألون عن القضايا التى جاؤوا لبحثها فتقابلهم ضحكات هستيريّة [illegible].

[illegible]: لقد وقعنا يا رفيقي. لم نحسب أمورنا جيداً. غفلنا عن صدام الّذي نعرفه جيداً، نعرفه منذ زمن طويل.

قال الآخر: انتهى كل شيء الآن. كانت المؤامرة لكمّنا. [illegible]، وهم قريبون من مسرح التآمر. كان عليهم أن يعرفوا.

[illegible] خ: الحق معك. عرفنا المؤامرة بعدما [illegible]: إنّ أسخر من نفسي ولأنا أتلقّت يميناً وشمالاً حتى لا يسمعوا كلامي. وهذا المزر الّذي أمامي؟! وأومأ على زرٍّ في [illegible]! وفي كرسيك مثله. تي سكت لحظةً قبل أن يقول بصوت مستسلم [illegible]. إنّ أسخر من خوفي. ماذا يجدي عليّ الآن؟! كان ذلك نافعاً حين كنّا ما نزال في خارجه - مشياً إلى المكان الّذي حشدوا فيه - قبل أن نساق بفعلتنا إليه.

[illegible] (مؤامرة [illegible] إلى [illegible] المكان لقد أرادوا أن يهدموا حزبكم الّذي شيدتموه بدمائكم وتضحياتكم وشهدائكم) قال [illegible] (كاف) المخاطب.

وصرخ واحدٌ من وسط القاعة (الموت للمتآمرين). لقد كان أحد أفراد جهاز الأمن [illegible].

وارتفع صوت آخر (لا ترحمهم أيّها الرفيق صدام. لا ترحم الخونة العملاء).

واختلطت الأصوات وتعاقبت من كل أرجاء القاعة: (الموت للمتآمرين) أقل ما تطلب به.

[illegible] استغلوا عطف صدام وتسامحه فتمادوا في إجرامهم لشق الحزب وتدميره. (لا عفو بعد اليوم يا صدام. لا تسامح ولا رحمة. الموت للمجرمين عملاء الأجنبي - [illegible]).

[illegible]... وتصدر الحكم.

[illegible] وأخرى يخرج منديله يمسح دموعه أمام دموع الجاضرين الّذين اتّجهت أنظارهم إليه. كان يحرص على أن يظهر وكأنه لا يريد أن يتدخّل فيما يقرّره أعضاء الجزب. وليس هو إلاّ واحداً من [illegible]. لا يفرض عليهم رأياً ولا يتخذ موقفاً خلافاً لما يتخذونه من موقف في ضوء نظام الجزب وقناعتهم إزاء هذه الجيلنة العظمى التي تعرّض لها الجزب وجوداً ونضالاً وتاريخاً.

[illegible] متألّماً حزيناً؛ لأن رفاقه ارتكبوا (خيانة عظمى) ضد الجزب [illegible] على لفظ (الجيلنة) التي يريد أن يثبّتها عليهم كواقعة حقيقية أمام الجاضرين من كوادر [illegible].

وسيق الرفاق [illegible] مكان المجهول ومصيرهم هو الآخر المجهول.

ونصل إلى ختام المسرحيّة. لقد أراد صدام ألاّ يكون معروفاً كنهاية الأفلام المصرية القديمة. [illegible] ضرب أعناقهم.

وأعلنت الأحكام: بعضها بالإعدام وبعضها بالسجن الّذي تختلف صوره. [illegible] لإبعاد التهمة عن الأحكام وإضفاء شيء من الشرعية عليها.

ونعود إلى عبد الواحد الّذي بدأنا به حديثنا. لقد كان عبد الواحد بعثيّاً قديماً وعسكرياً شجاعاً. قاد أول دبابة دخلت بغداد في انقلاب ١٩٦٨، [illegible] خوّف صدام وزمرته منه. [illegible]. لكنه لم يخرج من السجن. [illegible]: جثّة على باب بيتٍ صدر الحكم بمصادرته بعد قتل صاحبه.

الفصل الرابع عشر

فاضل وحسين... ومحمود البعيد!

[illegible] في سنة واحدة هي ١٩٥٢.

[illegible]

[illegible]

وكانت [illegible] ليطلب إحالته على التقاعد.

وفي آخر لقاء بين فاضل وحسين، [illegible] عنهما منذ عاد إلى الدبلوماسية عام ١٩٧٠.

قال حسين وهو يبدأ الحديث مع فاضل [illegible] جداً.

وقبل أن يكشف حلقة كلمة لقمة، نفذ إلى مسخة لنا سيخطب لنا شاكر: وهل هناك ما يسر من الأخبار بفضل البعث والبعثيين؟! [illegible] الأسوأ أنّ كل شيء يسني نحو الأسوأ [illegible] الحطى إليه تجت قيادة للرئيس للفارس صدام!! إنّ [illegible] لاستعداد لتدمير دون تردد أو سؤال ما أروعه من امتياز! ألا ترى معي أنّ ما يجري الآن كلّه [illegible] الثمن أكثر من مضاعف.

قال حسير وهو ينظر بتململ إلى فاضل: لقد أبعدتني عن الحلّ الذي كنت أريد إبلاغه [illegible] ملك؟ [illegible] إني لأستغرب حالك [illegible] أتراني المقصود بكلامك؟ [illegible] ماذا تريد أن أفعل؟! هل عليّ أن أموت أو أنتحر حتى ترضى؟! هل في هذا ما يخيف البعثيين أو يقلقهم؟! أنا شخصياً لم أُخلق للمقاومة والقتال.

لم أحمل السلاح يوماً ولم أحارب. لا أنكر هذا ولم أنكره يوماً. لكل واحد منّا يا صديقي [illegible] لكنني لم أكن يوماً بعثياً [illegible] يضيؤون في الليل وفي النهار... ولقد تساءلت طويلاً إن كنت أعذر نفسي بعدم الإلتحاق

بفصائل المقاومة وحمل السلاح معهم. طلب شقيقي الصديق ظريف زملائه قائلاً:

هل من الأفضل أن أحمل السلاح وأنضمّ إلى المقاتلين. لم يعد يحتمل الكتب، سئم الكتابة

والمطالعة، لقد أصابه طول الغيبة بالضجر، أراد الصديق ظريف الانتقال إلى طور

آخر، يريد الالتحاق بالمقاومين والمقاومة، يريد أن يكون سبباً في إلحاق الأذى بالمقاومة

بحكم عملي معهم. سأكون سبباً في إلحاق الأذى بالمقاومة والمقاومين. فهل الأفضل أن

أبقى على طول الغيبة، أم أن أكون سبباً في إلحاق الأذى بالمقاومة والمقاومين؟ أجبته

بأنه إن كان يريد الانضمام إلى المقاومة، فعليه أن يكون شريفاً، وعليه أن يحمل الصديق ظريف

وبير الواحد وبير المائة تسع وتسعون درجة. كلها إيجابية باختلاف الدرجات.

إلا أن زملائي المقاومين الآخرين، أعني الذين يحملون السلاح، أعني الذين

يقاتلون، أعني الذين يضحون بأرواحهم، سرعان ما أطلق الصديق ظريف عليهم ما أطلقه الآخرون.

لقد شاهد الصديق ظريف مؤخراً أن المقاومين، أعني الذين يحملون السلاح، زملائي

المقاومين، يقومون بالتهريب والتجارة، يقومون بالتهريب والتجارة، يقومون بالتهريب

والتجارة

قال حسير: أتذكر حديث الخوارج وتنسى حديث النبيّ: (من رأى منكم منكراً فليغيّره [illegible]) وأنا أرضى [illegible]. أرضى بما دمت، [illegible] شخصاً أشرح [illegible]. [illegible] واثق منه.

[illegible]! [illegible] أنسيت؟!

قال حسير: وهل تركت لي فرصةً حتى أنسى؟! [illegible] كأنّ لك عداء مع الأخبار السارّة. لقد وأدت خبري كما كان العرب يئدون البنات. لكنّهم [illegible].

قال فاضل: منكم أصبحت مهتمّاً بتاريخ العرب؟! عهدي بك أبعد الناس عنه. هل أصابك محمود بعدواه قبل أن يسافر؟ ليته معنا لكم أنا مشتاق إليه؟! هل عندك شيء من [illegible] بعدما جاء [illegible].

قال حسير: وهذا هو الخبر السار الّذي كنت أريد أن أعلمك به: إنه في الطريق إلى بغداد. لقد طلب النقل والإحالة على التقاعد. هذا ما سمعته قبل يومين من أحد أفراد عائلته. ربّما يكون هنا خلال أسبوعين أو أقل. سأتصل بك طبعاً حين أتأكّد من موعد وصوله. [illegible] أحلاها من ذكريات وأيّام! [illegible] أنت وأنا وهو. [illegible] الماضي والحاضر... والمستقبل [illegible]. عندنا وقت طويل للحديث عنهم.

الفصل الخامس عشر

أوّل لقاء الثلاثة

[illegible] جديد [illegible] ملون غاً فأرادوا أن يتخفّفوا منه بعد طول جمل.

كان محمود يغالب دموعه وهو يعانق فاضل مرّةً وحسير أخرى ليعود إ لم فاضل. لخ يكن يصدّق نفسه. سنير لخ يجتمعوا ثلاثتهم. [illegible] لكأن هذا اللقاء ذكّرنا بخاض بعيد حير كان الثلاثة شباناً يعيشون [illegible].

[illegible] ماذا تنوي أن تعمل بعد التقاعد؟ ألخ تفكّر في شيء؟

قال محمود: [illegible] حتى الآن. كل للّذي أعلمه أنّني قدّمت طلباً [illegible]. لست تاجراً [illegible]. ليس أمامي غي المحلماة لأعود إليها بعد سنير طويلة على تركي لها منذ الخمسينات.

قال حسير: [illegible] ماذا [illegible] يعشقه الآخرون؟

قال محمود: [illegible] كظاهرة [illegible] إشراق شمس [illegible] حتى الأحلام لا تخرج عن دائرة الوظيفة: للوزير والخدير للعام وأوّل الشهر وآخر الشهر وللعلاوة والبيفيع. [illegible] بجلى عكاز بعدما استنفدت قوّته ولخيبق منهما يصلح لشيء [illegible]!

قال حسير: إذن حسمت خيارك باتّجاه المحاماة.

قال محمود: ليس ذلك خياراً لأحسمه. ليس خياراً حسير لا يملك الإنسان حريّة الاختيار ولا يكون أمامه إلاّ طريق واحدٌ عليه أن يسلكه. ماذا يبقى من الاختيار؟! ثمّ أضاف ضاحكاً: لقد أصبحت أشعريّاً من حيث لا أدري. [1]

قال فاضل وهو يشارك في الجوار: إنّ ألسنة السوء تتناولك بما لا يرضي. لقد دخلت قبل أيّام في معركة حامية وأنا أخمّن من يتّهمك بأنك لم تعد أحمد الّذي يعهد، [illegible] شيء شمشمة إلى [illegible] الله أ!

قال محمود وكأنه استفزّه ما لم يتوقّع: وماذا؟! لماذا فعلت لأستحق هذه التّهمة؟! ألأنّي عملت في وزارة الخارجيّة. أنتما تعلمان أن أوّل وظيفة شغلتها كانت في وزارة الخارجيّة عام ١٩٥٨ [illegible] فإن كانت الخارجيّة [illegible] عليّ أحد بشيء في الدرجة أو الرتب. وإن كانت السامعة أفضل من الخارجيّة فقد نزلوا بي عن حقّي وحاربوني فيه. [illegible] فهل تجوّلوا بعشيّر؟!

قال حسير وهو يعود إلى الكلام: وهل للدوائر الأخرى أفضل حالاً من وزارة الخارجية؟! وما للفرق بين وظيفة في الخارجية ووظيفة في غيرها؟! هل القضاء [illegible] إلاّ [illegible] شيء [illegible]!

هل يختلف عن أيّة دائرة أخرى؟! ثمّ التفت إلى محمود فاضل قائلاً: [illegible] القضاء؟!

---

(١) [illegible] ولا خيار له فيما يقوم به من أعمال.

[illegible] أن يلحقها الفساد في زمن البعثيين. [illegible]. لقد أفسدوا صاحبي كل شيء. أفسدوا الإنسان نفسه. بدؤوا بالإنسان كقيم ومبادئ وأخلاق. وما بقي سيأتي وحده [illegible]. لكن هل علينا أن نبيك وظائفنا لنجوع نحن وعوائلنا؟! يَ سنضرّ البعثيّين لو تركنا وظائفنا؟! وا سيسرّهم ذاك ويسعدهم وسيسمح لهم بأن يفسدوا أكثر. المهمّ أن نكون نحن مجتمعاً [illegible] حينذاك سنكون نافعين [illegible] وسيعرفون من هو صالح ومن هو شرّ. لن نخلي الساحة للبعثيّين. [illegible] لسنا لسنا من الرأي الّذي يقول بيك الوظيفة احتجاجاً على الحكم أو رفضاً له. تركنا لوظائفنا سيكون إفراغاً للميدان من العناصر النظيفة. [illegible] لأعدائه.

وعاد محمود للحديث قائلاً: هل تعلمان بأنّ البعثيين ساوموني أكثر من مرة بأن أكون سفيراً مقابل الانتماء لحزب البعث فرفضت [illegible] تركيا. كان [illegible] لقد [illegible] عرض عليّ عبد السلام عارف للوزارة على ١٩٦٥ فرفضت. [illegible] الوقت [illegible] قاطع. قال لي: إنّه هو المقصود وراء طلب تعييني وزيراً. كان يراد أن يغني موقفه من عبد السلام عن طريق استيزار ابنه [illegible]. لقد حدّثتكما [illegible] قليلة. في مضى قائلاً:

هل قرأتا يوماً كلمةً لي أو مقالاً أو شيئاً مما يكتبه بعض الناس هذه الأيّام في مدح البعث أو قائده؟ [illegible] مساياراً للبعثيّين أو... ربّما أكثر؟!

ألا تعلمان كم تجمّل أبي بسبب موقفه من البعث والبعثيّين؟! [illegible] معي.

[illegible] .

قال حسين؟ وهو يتّجه بكلامه لفاضل: ماذا كنت ستفعل يا فاضل لولا نتّفق؟! لقد [illegible]! وها أنت تخالف ما اتّفقنا عليه.

قال فاضل: أكنت أحرص على محمود ومصلحته؟! لقد قلت له الحقيقة ليعرف موقف الناس ورأيهم. [illegible].

قال حسين: إذن لنبدأ حديثاً جديداً.

[illegible].

الفصل السادس عشر

في الطريق إلى الحرب

مقتل الصدر: محمد باقر وبنت الهدى

كان صدام قلقاً ثائر الأعصاب خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٨٠. والمقرّبون منه [illegible]

وكان حين يريد [illegible]

للقريبين منه يعرفون غنى هذا [illegible] إلغاءه أو نقيضه.

قال أحد كوادر الحزب لآخر من أصحابه: ما الّذي يقلق السيد الرئيس هذه الأيام؟! لم هذا الحزن في وجهه رغم جهده في أن يحجبه عن الأنظار؟! ما الّذي يهمّه ويشغل باله؟! المؤامرة؟! [illegible] أو قتلاً في السجون. كل الذين أردنا قتلهم قتلناهم [illegible] ماذا بقي منّا يقلق أو يفكّر فيه؟! الحزب الشيوعي؟! [illegible] الأحزاب القوميّة؟! ضحك على الناس أم علينا؟! [illegible] هذا على صعيد الداخل. أمّا مع [illegible] نيابةً عنهم [illegible] صادقين في شعورهم نحونا؟! إني أشك كثيراً في ذلك. لم نكون نحن وحدنا حماة البوابة [illegible]! لم لا يتولّون هم حراسة هذه

البوابّة فى وجه إيران التى يبدو أنه لم يعد لهم من عدو سواها؟ لماذا لم يحرضونا ويدفعون بنا [illegible] موجودة عندهم ولن تتخلّى عن حمايتهم؟ هل تتخلّى أمريكا عن نفط الخليج؟ [illegible]!

قال الآخر: أتريد الحقّ يا صاحبى؟

قال الأول: [illegible]!

قال الثانى: لم يجدوا مغفّلين مثلنا [illegible] لماذا تكلّفهم [illegible] لم يرفضون؟ هل سمعت أنّ أحداً رفض التسيّد بالخوت دونه؟ لماذا تكلّفهم [illegible] وكلمات [illegible].

قال الأول: ولكننا لسنا نحن الّذين سنقاتل الحمينى وإيران. [illegible] ستسيل من الجنوب ومن الشمال. هؤلاء هم الّذين سيدفعون فاتورة الحرب. ستسيل [illegible]. لن تصيبنا الحرب إلاّ من بعيد [illegible]: أسلوب مبتكر نتخلّص به من أعدائنا فى الداخل وأعدائنا فى إيران. ويخرج قائدنا بطلاً قوميّاً [illegible] ١٩٦٧ أليس هذا كسباً كبيراً [illegible]!

قال الثانى: [illegible] فى أ[illegible] العراق. عليهم الخوت ولنا الاسم والإعلان [illegible].

قال الأول: لنعد إلى حديثنا الّذي بدأناه عن قلق السيد الرئيس. هل ترى من سبب له [illegible] وليس فى الساحة الآن من لاعب غيرنا كما تعلم؟! أهناك [illegible]!

قال الثانى: نعم. نسيت الأهم من بينها يا صاحبى.

قال الأول مستغرباً: الأهم! الأهم من كل ما ذكرت لما هو؟ لماذا بقي من القوى السياسيّة المؤثّرة التى تقلق السيد الرئيس وتشغل باله؟! لقد حطّمناها كلّها [illegible] لم يبق منها ما يستحق الذكر.

قال الثاني وهو يدني النظر في وجه صاحبه: هذا العدو الشديد الّذي يتمتّع بكل عناصر [illegible]. حطّمنا الآخرين وبقي هو يزداد قوّة، شيئاً فشيئاً [illegible] نظري على الأقل؟!

قال الأول: عن أي عدوّ تتكلّم؟! الحميني؟! إذن ماذا نفعل الآن؟! كم كل هذه الاستعدادات؟ [illegible] إن لم يقتل هناك. إنّ الحميني هو عدّونا الأوّل.

قال الثاني ضاحكاً بل عدّوهم الأوّل: عدوّ مشايخ الخليج وعدو الغرب.

سنحقّق لهم ما عجزوا هم عن تحقيقه، سيعيشون كلهم لفضلنا عليهم، لكن مالك تأخذني يميناً ويساراً ولا تذكر اسم هذا العدو الّذي تراه أخطر وأهم من جميع الآخرين؟ قل لي وأريحني. فمنذ التقينا وأنت تتحدّث عن عدّو دون أن تذكر اسمه [illegible] تحت معرفتي؟!

قال الثاني: [illegible] أنا أتكلّم عن هذا الخدّ الشيعي الّذي يمثّله ويقوده حزب الدعوة. يبدو أنّنا غفلنا عنه ولم نحسب حسابه جيداً. شغلنا بالآخرين وتركناه -إنه العدو الحقيقي الّذي يهدّدنا. فحزب الدّعوة لا يقوم على مواقف تقليديّة فردية ما أسرع ما كنّا نلتف عليها ونتجاوزها. بشكل أو بآخر. خطورة هذا الحزب أنّه يقوم على تنظيم سرّي [illegible] شباب مستعدّون للتضحية. وقد رأينا الكثيرين منهم: [illegible] تعذيبنا [illegible] كان لا يهاب الموت من هؤلاء المؤمنين أصحاب القضايا الكبرى الّذين لا يرون الموت إلاّ شهادةً وسعادةً [illegible] يجبنوا.

قال الأول: [illegible]! لماذا تريدنا أن نفعل؟!

قال الثاني: [illegible] أظن هذا وراء مؤامرة من قلق السيد الرئيس وغمّه وتفكيره.

قال الأول: وما الحل في رأيك؟ [illegible] زيادة مطاردة هذا الحزب ورصد نشاطه وملاحقة حاملي فكره في الداخل وفي الخارج. أأكثر من أن يصدر مجلس قيادة الثورة قراراً يقضي [illegible] هل تعلم بأنّنا أوّل دولة في التاريخ تعاقب على أفعال قبل صدور القانون الّذي يعتبرها جريمةً ويعاقب عليها؟! والله إنه امتياز لحزبنا لم يسبقه إليه أحدٌ [illegible] من يستطيع أن يبلغ في تفكيره ما بلغت؟! هذا هو جزاء الحرية والعملاء. ليت القرار شمل [illegible] أيضاً بأن [illegible].

قال الثاني: [illegible] مكتوب. ألا [illegible] ننفّذها عند الحاجة إليها. [illegible].

قال الأوّل: أرى أنّ هذه النصوص - أقصد عني المكتوبة - هي التي يجب أن نعطيها [illegible] النصوص المكتوبة التي قد تقيّد حريّتنا وتمنعنا من التصرّف بما نراه مناسباً من العقوبات.

ضحك الثاني وقال: هذه هي العدالة الثوريّة التي يمثّلها حزبنا: حزب الوحدة والحرية والاشتراكيّة.

ومرت لحظات قبل أن يستأنف الحديث قائلاً: لكن! ما توقّف بعدها وكأنه لا يريد الاستمرار.

قال الأوّل: لكن! لكن ماذا؟! لم سكت؟! [illegible] تفصح عمّا تريد إلاّ بعد إلحاح؟! هل عليّ أن أكون عالماً بالغيب عندما أتحدّث معك؟!

قال الثاني: مالك ولطريقتي في الحديث وعلم الغيب؟! هلاّ صمّت قليلاً لتعرف ما أردت أن أقول؟! أردت أن أقول: إنّ كل الاجراءات التي اتخذناها والتي سنتخذها من قتل وتعذيب [illegible] كبيرهم: هذا الساحر الحقيم في النجف. [illegible] العبث لا فائدة منه. نحن أو هو. [illegible]. علينا أن نعجّل في القضاء عليه قبل أن يقضي علينا.

قال الأول: أظنك تتحدّث عن محمد باقر الصدر؟

قال الثاني: [illegible]! إنّه محمد باقر الصدر: هذا الرجل النحيف اسمع لمادئ الصوت الّذي يقيم مع أخته في بيت صغير من إحدى أحياء النجف القديمة [illegible] ما زاره وفد من الوفود العربيّة والأجنبية إلاّ خرج ذاهلاً مدهوشاً يتكلّم في الفلسفة [illegible] الشريعة. إنّه عالم من الخواهب والطاقات. هل تعلم أنّه خطر في ذهني أن أزوره وأحضر شيخاً [illegible] زا خ!

قال الأول: [illegible] العملي والخيداني [illegible]. إنه [illegible]. وما أظننا إلاّ سنخسر المعركة [illegible] يمنع أنصاره من الوصول إليه أو حضور دروسه أو تلقّي توجيهاته. [illegible] نتخلّص من الصدر: [illegible] عليك. لكنّي أتساءل أحيلناً: [illegible] هذه السن [illegible].

قال الثاني: [illegible]. الخوهبة لا تعرف [illegible].

[illegible]: ولكن لم لا نجد بين صفوفنا شيئاً من هذه المواهب؟! لماذا تعادينا المواهب أو نعاديها؟! ألم يخطر فى ذهنك هذا السؤال؟! [illegible]! سيفسدون حزبنا ويجرّدونه من قوّته. من الأفضل ألاّ نفكّر فى هذا السؤال. إنه خيانة للحزب يا صاحبى.

قال الثانى [illegible] فسألنا عما أفكر فيه وما جرنى ولم أجد حتى الآن [illegible] أن لماذا أفرجت القيادة عن الصدر بعدما اعتقلته أول مرة؟! كيف تعتقل أخطر أعدائها التى تطلق سراحه ليعود إن لم نشاطه؟! هذا ما لم أفهمه. كم حاولت أن أجد جواباً يرضينى فأخفقت!

قال الأول: وأي شيء فى هذا لم تفهمه؟! لو أن القيادة أعدمته حين اعتقلته فى المرّة [illegible] ولذا جاءت الأوامر من القيادة بالإفراج عنه وإطلاق سراحه ليبدو الأمر فى حدوده هو اعتيادي ومقبول؛ كأنّ القيادة لم تكن تنوي أصلاً من وراء إحضاره - ولم يقولوا اعتقاله - إلاّ [illegible] بشخصه [illegible] أيام. [illegible]

قال الثانى [illegible]!

قال الأول [illegible]!

[illegible]

قال الثاني: [illegible] في [illegible] ما دام موجوداً [illegible] ويمنحهم طاقة هائلة من القوّة والعزم. ولكن حتى ذلك اليوم سنبقى مهدّدين.

قال الأول: لن يكون بعيداً هذا اليوم. سنقضي عليه وعلى أخته. بنت الهدى: هذه التي أصبحت مصدر متاعب إضافيّ [illegible] نشطة تنتشر في كل مكان على امتداد العراق للتحريض على الحزب والدعوة إلى مجابهته. إنّ بنت الهدى تقود الآن حركة نسويّة خطيرة تتألف [illegible] ساحر وساحرة [illegible] إلى [illegible]. لكن الخشكلة مع هذا التنظيم النسوي أعقد من الخشكلة مع أي [illegible] في [illegible]. إنّ العراقي الّذي لن ينضم إلى حزب الدعوة - وأنا هنا أتكلم عن حزب الدعوة - سينضم إلى هذا الحزب أو يجد نفسه قريباً منه. [illegible] معه لا دفاعاً عنه ولا إعلاناً [illegible] قد يتساهل مع أي شيء إلاّ فيما يخصّ المرأة حيث تتعرّض لما يعدّه إهانةً أو اعتداء عليها. وهنا الخطر الكبير. [illegible] يسمح القائد بزينب أخرى لن يسمح لبنت الهدى بأن ترفع راية المقاومة ضد حكمه. وكانت بنت الهدى هي التي أثارت الناس وحرضّتهم وألهبت عواطفهم عند اعتقال أخيها في المرّة الأولى ولن يتكرر ذلك.

[illegible]

قال الثاني: [illegible] وبخاً أقدم منك. [illegible] رجل وامرأة وطفل وعجوز، [illegible] أشرت إليه خاصرة [illegible] عدلٌ مطلقٌ يشمل الجميع ويتساوى فيه الجميع! [illegible] إلـّا.

كانا قد بلغا هذا الموضع من الحديث عندما أعلن عن اجتماع للقيادة سينعقد بعد قليل. فغادرا المكان دون أن يغادر الصدر لسانيهما.

الفصل السابع عشر

في الطريق إلى الحرب

[illegible]

كان ذلك إيذاناً ببدء مرحلة جديدة قاسية شديدة على العراق والعراقيين ودخل العراق [illegible].

وكانت اللعبة أكبر من صدام وحزبه، للغرب [illegible].

كل شيء يشي إلى شرق العراق. هناك سيكون مسرح اللعبة مع إيران، الأحاديث [illegible] وفي باصات النقل والحافلات، [illegible] في أي [illegible] أحياناً.

في أي [illegible] أسعارها. قال ذلك واحد من ركّاب أحد باصات النقل لآخر يجلس إلى جنبه في نفس المقعد.

قال الآخر: ولماذا (لابدّ منها)؟! لماذا نا وللحرب؟! ألا يكفينا الّذي نحن فيه؟! ألسنا منذ سنين في حرب مع الغلاء ومع الظلم ومع الإرهاب؟ [illegible] تنشب الحرب. [illegible] ستتحول الخدن العامرة التي تعب [illegible] أن تنشط إلاّ صناعة الموت. إنّ الحرب أشأمها عرفته البشرية في تاريخها. كم من طفل فقد أباه وزوجة ثكلت زوجها وأمّ وأب فُجعا بأولادهما؟! [illegible] لن يكون في [illegible] في أي [illegible]

حتى من يبدو كذلك. كم دفع المنتصر ثمن انتصاره؟! أرأيت انتصاراً بلا ثمن؟ [illegible] الحرب ليست لعبة [illegible] كي. قال ذلك قبل أن ينزل من الباص.

وكانت التيارات السرّية والعلنيّة تدير بغداد [illegible] موضوعاً إلاّ الحميني [illegible] والسلام والاستقرار في خطر أيضاً. الحياة كلها أصبحت في خطر من الحميني!

[illegible] عنها إلاّ الإعلان [illegible] أثم [illegible] غظ أ [illegible] إ [illegible].

ولستغلّ صدام هذه الأجواء لتنفيذ مخطّط هرم طالما فكّر فيه بانتظار الوقت المناسب لتنفيذه.

[illegible] ويتمنّى لو استطاع القضاء عليها.

[illegible] الحرب تسهّل كل ما أراد. كل شيء جاهز الآن [illegible] بيده: تأمير الشيعة الداخلية من الأعداء يعني الأغلبية الشيعيّة.

كان صدام يفكّر هكذا: [illegible] العربيّة [illegible] الأمر. ويستمر الضغط على من بقي في العراق من الشيعة. سيهاجر من يهاجر ويبقى العراق. [illegible] وماله وأمنه. كل العقوبات [illegible]. وأصدر صدام أوامره بالتسفير.

[illegible]

لم يعد أحدٌ آمناً. لم يعد أحدٌ يعرف متى سيغادر منزله إلى مغنى عودة. [illegible] وليس هو من أراده ورغب فيه.

[illegible] بعد منتصف الليل. [illegible] ويقبض على ساكنيها التي يجرّون [illegible] السلاح منهم. [illegible] القيد. [illegible] إلى اسمهات الأعلى.

[illegible] أهمّ وجوهها: عودة اللاجئين. [illegible] الفلسطينية بكل وجوهها منذ زمن طويل.

يحرج من يستحيي [illegible] لقد اسيا حوا من حيث تعب الكرام.

وكان الاتّفاق قد يّمع صدام على إسكان اللاجئين الفلسطينيين فى وسط وجنوب [illegible] ضد الحميني.

تلك كانت ثانى الحطوات فى الطريق إلى الجرب.

الفصل الثامن عشر

مأساة الفيليّين

لم يكن صباح الأول من نيسان ١٩٨٠ [illegible] كما يحمل كذبته التي اعتاد الناس أن يتوقّعوها فيه. [illegible] جليدةً تسمّى كبني من الشعب [illegible] .

[illegible] في الوسط والجنوب حيث يقيم الشيعة في العراق وينتشرون.

[illegible]

[illegible]

خطرٌ لا يتسامح فيه ولا يسكت عليه.

[illegible] بدأت التحذيرات تتعالى [illegible] وللندوات: صفّوا الأعداء في الداخل أوّلاً. لا تسمحوا للعملاء بتخريب الجبهة الداخلية. راقبوهم جيّداً. تابعوا تحرّكهم. [illegible] الأعداء أعداء الداخل أولاً.

[illegible] شيعة طبعاً.

وفي ليلة من نيسان عام ١٩٨٠ كان الألوف من أفراد المخابرات الصدامية يطوفون [illegible] يدفعهم آخرون من المخابرات إلى سيارات كبيرة تنتظرهم عند الأبواب. [illegible] أقسى [illegible].

[illegible] الإيرانية. الأيدي مقيّدة والعيون تتبادل نظرات حزينة حاسرة.

لماذا جئتم بنا؟! لماذا تقيدوننا؟! إلى أين تذهبون بنا؟ لماذا الذي فعلناه؟! وهؤلاء الأطفال والنساء؟! [illegible] اسموا: [illegible] سقط على إثرها [illegible] وجهها.

[illegible] أكثر فحشاً. [illegible] أن [illegible] منظرٌ ما تصوّرته إلاّ رأيت جسمي كلّه يهتزّ.

امتحان حقيقي لرجال لم يعرفوا الرجولة يوماً [illegible] من لا يملك للدفاع عن نفسه وأهله.

[illegible] من مقدمة المرتل: إنّ على الّذين في السيارات أن ينزلوا سريعاً. هذا هو آخر الطريق عليهم أن يدبّروا أمورهم منذ الآن سنبيتكهم هنا.

وأنزل أطفال ونساء [illegible] وينفض الباب ذاك.

[illegible]

الوقت ظهر والأرض غريبة على هؤلاء البؤساء لا يعرفون مسالكها ولا اتّجاههم فيها. [illegible]

ليس معهم ماء ولا طعام. [illegible] ربما أراد بعضهم فمنعته الخابرات.

وبدأ الأطفال يتضوّرون من الجوع والعطش [illegible] ماذا سيقولون للأطفال الّذين بدأوا يتساقطون من الضعف والإعياء؟! هل ينفع ما يقولون لهم؟ لماذا يفهم الأطفال من لغة الكبار: الحوف على السبهة الداخلية والرتل الخامس والحميني؟!

قالت زينب وهي تتطلّع إلى أمّها بوجه شاحب وعينين ذابلتين إنّ جائعةٌ يا أمّي. هل من شيء آكله؟! لماذا لا تجملي معك شيئاً؟! ألست جائعةً مثلي؟! [illegible] أولئك الذين ركبوا معنا في السيارات وكانوا يحملون الخسّسات لماذا يحملون الخسّسات؟! أخوفاً منّا؟! إننا لا نجمل شيئاً.

[illegible] حبيبتي. [illegible] تعلم أين هي ولا إلى أين تتّجه.

وغني بعيد عنهما كانت عاتكة الأكبر قليلاً من زينب تسأل أمّها: ملماذا الطابور الخامس؟ [illegible] لماذا [illegible]

قالت الأم: لا أدري بالضبط يا بنتي.

أظنّهم يعنون أننّا جواسيس [illegible] فجر اليوم. لقد حكموا علينا قبل أن يحاكمونا.

وعادت عاتكة لتسأل مستغربة: ألسنا عراقيين؟ [illegible] وجدّي قبلنا؟!

قالت الأم: أجل يا ابنتي: لكننا لا نحمل اسمنسية العثمانية [illegible].

قالت عاتكة: وهل العثمانيون عرب أو عراقيون؟! أليس العثمانيون أمّة أخرى غير العرب؟! فلِم هذا الامتياز لهم وحدهم؟!

قالت الأم وقد بدأت تضيق بأسئلة ابنتها: ماذا فعل بنا يزيد عليه لعنة الله: كل هذا العذاب منه.

وانتبهت عاتكة إلى هذا الخطأ الذي ورد في [illegible] شيء: ماما جمعتك تذكرين يزيد. أليس يزيد قد مات منذ زمن طويل؟

قالت الأم [illegible]

ولماذا خلق الله الظلم وصداماً؟! ألم يكن قادراً على ألاّ يخلقهما؟! ألم يكن من الأفضل ألاّ يخلقهما؟! [illegible].

[illegible]

ونساء وأطفال. لقد بدأ الإعياء واضحاً عليه وحالته تسوء بسرعة. لم يعد يستطيع المشي إلاّ [illegible] لا يسمع قليلاً حتى يسقط. وصوته يرتعش لا يكاد يسمع. كل شيء يسمع إلى تدهور خطير في حالته الصحيّة.

[illegible] خصوصاً تلك الصغيرة آمنة: حفيدتهم التي فقدت أبويها في سجون صدام [illegible] أفارقها بعد نما. ومرت لحظات ساد فيها سكون عميق لا يكون إلا عند انتظار الموت. كان الحاضرون يديرون وجوههم ليبكوا كما يريدون. [illegible].

سيودعون بعد قليل أبا سعيد هذا الرجل الطيّب الّذي كان يشجّعهم ويخفّف عنهم ويضحك معهم رغم ما يعانيه.

[illegible]

نحن أهل هذه الأرض. نحن أهل العراق لن تنتزعوا العراق منّا ولن تنتزعونا من العراق. سيعيش العراق فينا. [illegible] عينيه.

[illegible] الحاج أبو سعيد رجلاً [illegible]. قتلوا ولديه ولم يبكوا له إلاّ آمنة يرى فيها أبلها - ابنه الكبي وذكريات وأيام سعادته [illegible] الوحيدة التي لم يبق لها صدام من يعطف عليها. [illegible]، وبكوا معها.

[illegible]

[illegible]

لقد أسقطهم العراقيون... إلى الأبد.

الفهرس

الفصل الأوّل: ٢
الفصل الثاني ٦
الفصل الثالث: السيدة آمنة وزوّار الفجر ١٢
الفصل الرابع: مأساة المعلّم محمد ١٨
الفصل الخامس: أبو طبر - الشبح الّذي أرعب بغداد..... ٢٧
الفصل السادس: اجتماع طارئ لقيادة حزب البعث - مجزرة (خان النّص) ... ٣٠
الفصل السابع: الشيخ عارف البصري - فرزدق وجرير وحوار الفكر..... ٣٥
الفصل الثامن: الحزب الشيوعي العراقي - الجبهة مع البعثيين ٣٩
الفصل التاسع ٤٤
الفصل العاشر ٤٩
الفصل الحادي عشر..... ٥٤
الفصل الثاني عشر: ثنائي البكر - صدام ٥٩
الفصل الثالث عشر: صدام، البداية، تجهيز المؤامرة وتصفية الخصوم ٦٣
الفصل الرابع عشر: فاضل وحسين... ومحمود البعيد! ٦٨
الفصل الخامس عشر: أوّل لقاء الثلاثة..... ٧٢
الفصل السادس عشر: في الطريق إلى الحرب مقتل الصدر: محمد باقر وبنت الهدى..... ٧٦
الفصل السابع عشر: في الطريق إلى الحرب ١٠٢
الفصل الثامن عشر: مأساة الفيليّين ١٠٦